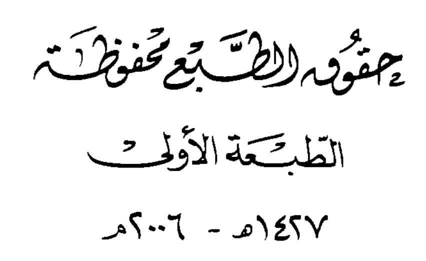


زَجْرُ النَّفْسِ
المنسوب
للنبي إدريس عليه السلام
المعروف
بـ"هرمس الحكيم"
إدريس
Ἑρμῆς
ENOCH
חֲנוֹךְ
تقديم و تعليق
السيد حسين نجيب محمد

زَجْـرُ النَّفس

المنسوب إلى النبي إدريس (ع)

ويُعرف بـ «هرمس الحكيم»



دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

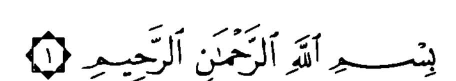
زَجْــرُ النَّفس

المنسوب إلى النبي إدريس (ع)
ويُعرف بـ «هرمس الحكيم»

مراجعة وتقديم

السيد حسين نجيب محمد

دار المحجة البيضاء



ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

[الفَاتِحَة: ١-٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، سيَّما نبينا محمَّد وآله الطاهرين.

النبي إدريس (ع):

هو أحد الأنبياء المعصومين عليهم السلام، ذكره الله تعالى في كتابه الكريم باسم «إدريس» وأثنى عليه بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٦-٥٧] وقوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥-٨٦] ويُسمَّى عند اليونانيين بـ«هرمس الحكيم» واسمه في التوراة «أخنوخ».

سُمِّي «إدريس» لكثرة دراسته للكتب والصحف، وهو أوَّل من خاط الثوب وخطّ بالقلم، واستخرج الحكمة وعلم النُّجوم والكواكب والحساب، وكان كثير الفكر والتسبيح والتهليل فأنزل الله تعالى عليه النُّبوَّة والحكمة.

وقد كثرت الأقوال في تاريخ حياته إلاَّ أنَّها وكما يقول السيِّد محمَّد حسين الطباطبائي رحمه الله: «وهذه أحاديث وأنباء تنتهي إلى ما قبل التاريخ لا يُعوّل عليها ذلك التعويل، غير أنَّ بقاء ذكره الحي بين الفلاسفة وأهل العلم جيلاً بعد جيل وتعظيمهم له واحترامهم لساحته

وإنهاءهم أُصول العلم إليه يكشف عن أنَّه من أقدم أئمَّة العلم الَّذين ساقوا العالم الإنساني إلى ساحة الفكر الاستدلالي والإمعان في البحث عن المعارف الإلٰهيَّة أو هو أوَّلهم عليه السلام»[١].

يقول العلاَّمة اللاهيجي: «... وهو المثلّث بالنعمة ـ أي النُّبوَّة والحكمة والمُلك ـ وُلد بمصر قبل الطوفان الكبير، وتلمذ في بداية أمره لغوثاذيمون المصري ـ أحد أنبياء اليونانيين والمصريين وهو أورياء الثاني ـ وخرج عن مصر ودار الأرض كلها وعاد إلى مصر فرفعه الله إلى السَّماء وذلك بعد اثنين وثمانين من عمره، دعا الخلائق إلى الباري تعالى باثنين وسبعين لساناً وهو أوَّل من استخرج الحكمة.

دعا إلى دين الله تعالى والقول بالتوحيد وتخليص النُّفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدُّنيا وحضَّ على الزهد في الدُّنيا، والصلاة والصيام والزكاة، وحرَّم أكل لحم الخنزير والمسكر...

وكان على فصّ خاتمه الَّذي يلبسه كل يوم: «الصبر مع الإيمان يورث الظفر» وعلى خاتمه الَّذي يلبسه في الأعياد «تمام الفرح في الأعياد الأعمال الصالحة» وعلى خاتمه الَّذي يلبسه إذا صلَّى على ميِّت «الأجل حصاد الأمل والموت رقيب غير غافل»[٢].

رسالة «زجر النَّفس»:

هذه الرسالة منسوبة إلى النَّبي إدريس عليه السلام، نقلناها من كتاب «إيقاظ العلماء وتنبيه الأمراء» تأليف المولى أحمد بن عبد الله الكوزة كناني التبريزي النجفي المتوفي سنة ١٣٢١هـ.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج١٤، ص٧٤.
(٢) محبوب القلوب: ج١، ص١٦٢.

تعريف بـ «الرسالة»:

هذه الرسالة تتحدَّث عن رحلة الإنسان من العالم الأعلى إلى العالم الأدنى... وفيها يُخاطب الحكيم نفسه ليذكِّرها بعالمها الأصلي ويزجرها عن الانغماس في لذَّات الدُّنيا وشهواتها، ويدعوها للرجوع إلى العقل الَّذي هو الوطن الأصلي الَّذي نزلت منه، وللوقوف على تفاصيل هذه الرحلة لا بدَّ من ذكر هذه الأُمور:

أوَّلاً: خلق العوالم الوجودية:

لقد أبدع الله سبحانه وتعالى بقدرته عوالم متعدّدة جعل بعضها فوق بعض، أوَّلها من حيث الرفعة هو العالم العلوي المشتمل على حقائق الأشياء وكلّياتها من غير مادة ولا صورة، وآخرها وأدناها عالم الناسوت وهو عالم الطبيعة الإنسانيَّة الماديَّة، ويتوسَّط هذين العالمين «عالم المثال» وهو المشتمل على صور الأشياء دون موادها وقد أشار إليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «صور عارية عن المواد، عالية عن القوَّة والاستعداد، تجلَّىٰ لها فأشرقت وطالعها فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكَّاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك السبع الشداد»[١].

قال الشيخ محمَّد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله: «... إنَّ العوالم أربعة: اللاهوت، والجبروت، والملكوت، والملك، والثلاثة الأُولى مجرَّدة عن المادَّة والمدَّة، أمَّا عالم الملك وهو العالم المادي وما تحت العرش فهو قسمان: قسم يحتاج إلى مادة فقط وهو عالم

---

(١) معرفة المعاد: ج٣، ص١٠٨.

الأفلاك والكرات النيرة المعلقة في الفضاء الَّتي ينشأ الزَّمان من حركاتها فتكون المدَّة، وقسم يحتاج إلى مادة ومدة معاً وهو عالم الصنع وما تحت فلك القمر، وكل عالم له الهيمنة على ما دونه والتصرف فيه، فعالم الملكوت المجرَّدة عن المادَّة والمدة له التصرف في عالم الملك للإبداع والإيجاد من دون إعداد ولا استعداد، ولا مادة ولا امتداد».

التنزّل من العوالم:

من المعلوم أنَّ هناك ترابطاً بين هذه العوالم، فإنَّ العالم الأعلى هو الأساس والعليَّة في العالم الأسفل منه، فعالم العقل أو الملائكة يؤثّر في عالم المثال، وعالم المثال يؤثّر في عالم المادَّة وليس العكس، ثمَّ بعد هذا النزول إلى عالم المادَّة يبدأ الصعود تدريجيّاً.

ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١]، حيث أفاد أنَّ لكلّ شيء من الأشياء وجوداً مخزوناً عنده سبحانه وتعالى وأنَّ تنزله بقدر معلوم.

وقد بيَّنت بعض الآيات أنَّ أمر التدبير يتنزّل من العرش ثمَّ من سماء إلى سماء حتَّى ينتهي إلى الأرض ثمَّ يأخذ في العروج قال تعالى: ﴿...ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجدَة: ٤-٥] ويعبِّر عن هذا التنزّل من العالم العلوي بـ«قوس النزول»، ويعبِّر عن العروج بـ«قوس الصعود».

وليس المراد بالتنزّل من هناك التجافي وتخلية المكان السابق بالنزول إلى اللاحق، إذ أنَّ ما عند الله تعالى لا يفنى قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وإنَّما المراد هو تغيُّر الشكل والصورة بحسب العالم الَّذي نزلت إليه، فإنَّ الأشياء في العالم الربوبي لها

واقعيَّة تختلف عن حقيقتها في عالم العقل والملائكة وكذا عالم المثال والأجسام، والفرق واضح بين التجافي والتمثُّل فمعنى التجافي هو تخلية المكان أمَّا التمثُّل فهو التغيُّر بحسب النشأة، ومثاله ما عندنا من الأفكار الذهنيَّة إذا دوَّناها على الورق فإنَّما تتمثل بصورة الكتابة ولا تتجافى.

ومن أمثلة التنزّل «القرآن الكريم» فإنَّ له حقيقة في العالم العلويّ هي ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة: ٧٨] إلاَّ أنَّها تتغيَّر عندما يتنزّل إلى عالم الدُّنيا حيث يظهر على شكل الحروف والكلمات، ويدلُّ عليه ما روي في تنزّل بعض الآيات والسور القرآنية فقد روي عن الصَّادق عن أبيه عن آبائه عن النَّبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنَّه «لمَّا أراد الله عزَّ وجلَّ أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآية الشهادة وآية الملك تعلَّقن بالعرش وليس بينهنَّ وبين الله حجاب، وقلن: يا ربّ تهبطنا دار الذُّنوب وإلى من يعصيك ونحن معلَّقات بالطهور والقدس، فقال: وعزَّتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كلّ صلاة إلاَّ أسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه، ونظرت إليه بعيني المكنونة في كلّ يوم سبعين نظرة، وإلاَّ قضيت له في كلّ يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلاَّ أعذته من كلّ عدوّ ونصرته عليه، ولا يمنعه من دخول الجنَّة إلاَّ الموت»[(١)].

وفي رواية عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ سورة الأنعام نزلت جملة واحدة وشيَّعها سبعون ألف ملك حين أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، فعظِّموها وبجِّلوها فإنَّ اسم الله عزَّ وجلَّ فيها

---

(١) نور الثقلين: ج١، ص٣.

في سبعين موضعاً، ولو يعلم النَّاس ما في قراءتها من الفضل ما تركوها...»[1].

ثانياً: خلق الأرواح:

وقع الخلاف بين العلماء والمفسِّرين والفلاسفة حول خلق الرُّوح وانقسموا إلى قسمين:

فمن قائل: بخلق الأرواح قبل الأجساد، واستدلّوا على ذلك بآيات قرآنية وأحاديث شريفة، وهذا ما يقتضيه قول الفقهاء عن الجنين بـ«ولوج الرُّوح» أي دخلته بعد أن لم تكن فيه.

ومن قائل: بأنَّها نابعة من داخل الجنين بسبب مادي، وهو قول الشيخ المفيد وصدر المتألّهين في كتابه «الأسفار الأربعة» حيث قال بأنَّها ماديَّة الحدوث روحانيَّة البقاء.

ويُستدلّ على خلق الأرواح قبل الأجساد من القرآن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

والرجوع هو كون الإنسان في مكان ثمَّ انتقاله منه إلى غيره ثمَّ العودة إليه بعد تركه، وتعبير القرآن عن الموت برجوع النَّفس إلى ربّها يدلُّ على كونها في ذلك المكان العلوي الَّذي خُلِقَت منه.

يقول الشيخ البهائي رحمه الله: «التجريد سرعة العود إلى الوطن الأصلي والاتصال بالعالم الفعلي وهو المراد بقوله ﷺ «حب الوطن من الإيمان» وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٣٥٣.

فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٨-٣٠] وإيَّاك أن تفهم من الوطن دمشق وبغداد وما ضاهاهما فإنَّهما من الدُّنيا وقد قال سيِّد الكلّ في الكل ﷺ: «حب الدُّنيا رأس كل خطيئة»[١].

وأمَّا الدليل من الروايات فهي عديدة منها:

ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: «ولكنَّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام»[٢].

وما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألف عام فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمَّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمَّة من ولده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»[٣].

علَة تنزّل الأرواح:

وقع الخلاف بين الفلاسفة والحكماء والمتكلِّمين في سبب هبوط الأرواح وانحدارها من العالم العلوي إلى العالم السفلي ومن فضاء العقل الروحاني إلى البدن السفلي الظلماني.

يقول أحد الحكماء: إنَّما كانت في المكان العالي الشريف فلمَّا أخطأت سقطت إلى هذا العالم فراراً من سخط الله.

وحكي عن أفلاطون: إنَّ علَّة هبوط النَّفس إلى هذا العالم سقوط ريشها، فإذا ارتاشت ارتفعت إلى عالمها الأوَّل.

---

(١) الكشكول: ج١، ص٣٠٥.
(٢) مدينة المعاجز: ج ص٢٠٧.
(٣) المختصر: ص١٦١.

وقال أيضاً في كتاب (طيماوس): إنَّ علَّة هبوط النَّفس إلى هذا العالم شتَّى، وذلك أنَّ منها ما هبط لخطيئة أخطأتها، وإنَّما أهبطت إلى هذا العالم لتعاقب وتُجازى على خطاياها، وقال في موضع آخر من هذا الكتاب: إنَّ النَّفس جوهر شريف سعيد، وإنَّما صارت في هذا العالم من فعل الباري الخير، فإنَّ الباري لمَّا خلق هذا العالم أرسل إليه النَّفس وصيَّرها فيه ليكون العالم حيّاً ذا عقل...

وعلى كلّ فقد بيَّن أهل بيت النُّبوَّة صلوات الله عليهم علَّة تنزّل الأرواح وجعلها بالأبدان فقد:

روي عن عبد الله بن فضل الهاشمي أنَّه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علَّة جعل الله تبارك وتعالى الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محل؟

فقال عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى علم أنَّ الأرواح في شرفها وعلوها متى تُركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبيَّة دونه عزَّ وجلَّ، فجعلها بقدرته في الأبدان الَّتي قدَّرها لها في ابتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها، وأحوج بعضها إلى بعض، وعلَّق بعضها على بعض، ورفع بعضها على بعض، ورفع بعضها فوق بعض درجات، وكفى بعضها ببعض، وبعث إليهم رسله، واتَّخذ عليهم حججه مبشِّرين ومنذرين، يأمرون بتعاطي العبوديَّة والتواضع لمعبودهم بالأنواع الَّتي تعبَّدهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل، ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل، ليرغِّبهم بذلك في الخير ويزهّدهم في الشرّ، وليذلّهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك أنَّهم بها مربوبون وعباد مخلوقون، ويقبلوا على عبادته فيستحقّوا بذلك نعيم الأبد وجنَّة الخلد، ويأمنوا من النزوع إلى ما ليس لهم بحقّ، ثمَّ

قال عليه السلام: يابن الفضل: إنَّ الله تبارك وتعالى أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم، ألا ترى أنَّك لا ترى فيهم إلاَّ محبّاً للعلوّ على غيره، حتَّى أنَّه يكون منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبيَّة، ومنهم من نزع إلى دعوى النُّبوَّة بغير حقّها، ومنهم من نزع إلى دعوى الإمامة بغير حقّها، وذلك مع ما يرون أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم، يابن الفضل: إنَّ الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلاَّ الأصلح ولا يظلم النَّاس شيئاً ولكن النَّاس أنفسهم يظلمون»[1].

قصيدة الشيخ الرئيس في هبوط الروح:

نظم الشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله بن سينا قصيدة في تنزّل الروح وهبوطها من المحلّ الأرفع وهي من القصائد المشهورة، نذكرها مع شرح مختصر لها وذلك لما فيها من الفوائد والفرائد:

١ ـ هبطت إليك من المحلّ الأرفع ... ورقاء، ذات تعزّز وتمنّع

٢ ـ محجوبة عن كلّ مقلة عارف ... وهي الَّتي سفرت ولم تتبرقعِ

٣ ـ وصلت على كره إليك، وربَّما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجّع

٤ ـ أنفت، وما ألفت، فلمَّا واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع

٥ ـ حتَّى إذا اتّصلت بهاء هبوطها ... عن ميم مركزها بذات الأجرع

٦ ـ علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضّع

٧ ـ تبكي إذا ذكرت عهوداً بالحمىٰ ... بمدامع تهمي ولمَّا تقلع

٨ ـ وتظلّ ساجعة على الدمن الَّتي ... دُرِست بتكرار الرياح الأربع

٩ ـ إذ عاقها الشَرَك الكثيف وصدّها ... نقص عن الأوج الفسيح الأرفع

---

(١) مصابيح الأنوار: ج٢، ص٣٧٢.

١٠ ـ حتَّى إذا قرب المسيح من الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

١١ ـ وغدت مفارقة لكلّ مخلّف عنها، حليف الترب غير مشيّع

١٢ ـ سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يُدرَك بالعيون الهجّع

١٣ ـ وغدت تغرّد فوق ذروة شاهق والعلم يرقع كلّ من لم يرفع

١٤ ـ فلأي شيء أهبطت من شامخ عالٍ إلى قعر الحضيض الأوضع

١٥ ـ إن كان أهبطها الإلٰه لحكمة طويت على الفطن اللبيب الأروع

١٦ ـ فهبوطها إن كان ضربة لازم لتكون سامعة لما لم تسمع

١٧ ـ وتعود عالمة بكلّ خفية في العالمين فخرقها لم يرقع

١٨ ـ وهي الَّتي قطع الزّمان طريقها حتَّى لقد غربت بغير المطلع

١٩ ـ فكأنَّما برق تألّق بالحمى ثمَّ انطوىٰ فكأنَّه لم يلمع

٢٠ ـ أنعم برد جواد ما أنا فاحص عنه فنار العلم ذات تشعشع

الشرح:

١ ـ (هبطت) الضمير راجع إلى الروح، (إليك) الضمير راجع إلى السائل أو البدن، (المحلّ الأرفع) العالم العلوي المجرَّد الَّذي كان محلاً لخلق الأرواح، (ورقاء) وهي الحمامة الرماديَّة والخضراء، فالروح كالحمامة في القوَّة وخفَّة الجناح في النزول، (ذات تعزّز وتمنّع) عن دخول هذا البدن وقد دخلته كرهاً.

٢ ـ (السفر) كشف الوجه، (تتبرقع) التبرقع هو ستره، وحاصله: إنَّ الروح محجوبة عن الأبصار لتجرُّدها، مع أنَّها ظاهرة ومكشوفة للبصيرة لنوريّتها.

٣ ـ وحاصله: وصلت إلى البدن ودخلت فيه وهي كارهة، لمفارقتها العالم النوراني ودخولها في البدن المادي الظلماني، ومع ذلك فربَّما

كرهت فراقه وهي متفجّعة، روي عن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: «إنَّ روح آدم عليه السلام لمَّا أُمِرت أن تدخل فيه كرهته، فأمرها أن تدخل فيه كرهاً وتخرج كرهاً».

٤ ـ (أنفت) أعرضت عن الدخول إلى البدن احتقاراً له لعدم المناسبة بينها وبينه، إذ كانت من العالم العلوي النوراني وهو من العالم السفلي الظلماني، (فلمَّا واصلت) أي وصلت إليه واتصلت به، (ألفت) مع ما كان منها من الإعراض، وسمَّىٰ الشيخ اتصال الروح بالبدن (مجاورة) وفيه كلام، (الخراب البلقع) كناية عن البدن والبلقع مبالغة في خرابه.

٥ ـ وحاصله: إذا هبطت من مركزها المُسمَّى (بذات الأجرع) إلى البدن، و(ذات الأجرع) هو محلّ بوادي العقيق تهبّ فيه رياح ليِّنة قد مُزِجَت بما رَوّحَ بها البيت العتيق، وكنَّىٰ الشيخ به عن البدن لتركيبه واشتماله على العالم الكبير، وقيل في تعبيره بـ(الهاء) و(الميم) إمَّا لجلب القلوب وطلب الإصغاء أو أنَّه إشارة إلى الهمّ الَّذي حصل لها من سفر الهبوط والوصول.

٦ ـ (علقت بها) علاقة ثبات واتّصال، (ثاء الثقيل) المركز الأخس وهو التراب، (فأصبحت) من الاستصباح أي الوضوح، (بين المعالم) وهي رسوم بناء الإنسان كالعظام والغضاريف، تشبيهاً لها بعالم المنازل من العمارات كالأعمدة، (الطلول) بقايا المنازل، ومراده هنا من أجزاء البدن ما كان صلباً كالفقرات، (الخضّع) البالية المضمحلة.

٧ ـ وحاصله: تبكي على فراق البدن بدمع غزير ولا تقلع عن البكاء.

٨ ـ وحاصله: أنَّها تبقى على بكائها منشدة للكلمات المثيرة

للاشتياق المذكّرة للفراق، (على الدمن) على بقايا الديار الَّتي مُحيَت بتكرار الرياح الأربع، وهي: الصبا والشمال والجنوب والدبور.

٩ ـ وحاصله: إذا أعاق النَّفس عن وصولها إلى المراتب العالية والسعادة الأبديَّة الشَرَك الكثيف وهو الانغماس في عالم المادَّة، ومنعها عن الارتقاء إلى العالم العلوي الفسيح نقص فاحش عظيم للانهماك في اللذَّات.

١٠ ـ (المسيح) السيح وهو السير، وحاصله: إنَّها تبقى مستمرَّة في البكاء حتَّى يأتيها السيح والسير إلى الموطن الأصلي الَّذي هو الفضاء الأوسع.

١١ ـ أصبحت نشيطة في مفارقة البدن وغير متأسّفة على فراقه وغير مودّعة له لعدم الانتفاع به.

١٢ ـ وحاصله: سجعت سروراً إن كانت محسنة، وحزناً إن كانت مسيئة، وقد كُشِفَ لها الغطاء عن مصيرها من السعادة أو الشقاء، وأدركت ما لا تدركه العيون الماديَّة.

١٣ ـ وحاصله: بعد تركها البدن غرَّدت من فوق شاهق على فراقه معولة بالحزن والأسف، لأنَّ بواسطته صارت فاضلة.

١٤ ـ (الأوضع) مبالغة في التسافل، وهنا بدأ بالسؤال: لماذا أُهبِطَت الروح من مكان عالم متمحّض بالخير والطهارة والتقديس إلى أسفل الأسفل؟

١٥ ـ (الأروع) صاحب الروع والعقل، وهو من قول النبي ﷺ «ألا إنَّ الروح الأمين نفث في روعي...»، وحاصله: إن كان هبوطها لحكمة إلٰهيَّة غير معروفة لذي الفطنة.

١٦ ـ (ضربة لازم) أمر لازم، وحاصله: فإنَّ هبوطها واتصالها بالبدن لحكمة تعود إليها، يكون أمر لازم لأنَّه من عند الحكيم العليم بأسرار ذلك، لتكون بهذا الهبوط والاتصال متكاملة من حيث اكتساب المعارف والحقائق الَّتي لا تحصل عليها إلاَّ بذلك.

١٧ ـ وحاصله: وتعود من حيث أتت عالمة بكلّ الخفايا في عالم الشهود والغيب، وعندها فإنَّ هذا الرجوع إلى المكان الأصلي يمنعها من ازدياد المعرفة، فخرقها بسبب مفارقة البدن لا يرقع لعلمها بعدم إمكان رجوعها إليه وهي تحزن لذلك.

١٨ ـ وحاصله: قطع الزمان طريقها باضمحلال أخلاط البدن والَّتي كانت تنشأ عليه، وهي غربت كالشمس ولكن بدون مطلع لأنَّ طلوعها كان من الأعلى وغروبها من الأسفل.

١٩ ـ وحاصله: وكأنَّها ضوء قليل لمع وتوارى فكأنَّها لم تطلع لسرعة انقضائها.

٢٠ ـ وحاصله: لقد ظهر تحيّره في هذا الأمر، فطلب جواباً عمَّا سأل[١].

ثالثاً: الإنسان روح وجسد:

فعن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام: «الإنسان خُلق من شأن الدُّنيا وشأن الآخرة فإذا جُمع بينهما صارت حياته في الأرض لأنَّه نزل من شأن السَّماء إلى الدُّنيا، فإذا فرَّق الله بينهما صارت تلك الفرقة الموت تُردُّ شأن الأُخرى إلى السَّماء، وذلك أنَّه يُفرّق بين الأرواح والجسد، فرُدَّت

(١) مصابيح الأنوار: ج٢، ص٣٧٥.

الروح والنُّور إلى القُدس الأولى وترك الجسد لأنَّه من شأن الدُّنيا فيصير رُفاتاً ويبلى. . . »[١].

وعنه عليه السلام: «الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الَّذي كتبه بيده، وهي الهيكل الَّذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من اللوح المحفوظ، وهي الشاهدة على كل غائب وهي الحجَّة على كل جاحد، وهي الصراط المستقيم إلى كل خير، وهي الجسر الممدود بين الجنَّة والنَّار»[٢].

أورد الحافظ البُرسي في بعض رسائله مرويّاً عن الإمام علي عليه السلام وهو أنَّه: سُئل هل رأيت في الدُّنيا رجلاً؟

فقال عليه السلام: رأيت رجلاً وأنا إلى الآن أسأل عنه، فقلت له: مَن أنت؟

فقال: أنا الطين.

فقلتُ: من أين؟

فقال: من الطين.

فقلتُ إلى أين؟

فقال: إلى الطين.

فقلتُ: مَن أنا؟

فقال: أنت أبو تُراب.

فقلتُ له: أنا أنت؟

فقال: حاشاك، حاشاك، هذا من الدِّين في الدِّين، أنا أنا، وأنا أنا، أنا ذات الذَّوات، والذَّات في الذَّوات للذَّوات.

---

(١) بحار الأنوار: ج٣، ص١٢٤.

(٢) منهاج البراعة: ج١٩، ص٢٨٩.

فقال: عرفت؟ فقلت: نعم.

فقال: امسك»[١].

يقول الشيخ النراقي رحمه الله: ما ذكره عليه السلام من مخاطبة سرّه الملكوتي أعني نفسه القدسيَّة مع هيكله النَّاسوتي أعني جسده الشَّريف.

وحاصله: أنَّه لمَّا سُئل هل رأيت في الدُّنيا رجلاً كاملاً في الرجولية والإنسانية؟ فقال رأيت رجلاً كذلك، وأراد به هيكله الشَّريف المتعلّق بروحه القدسي، ثمَّ قال «وأنا» وأراد بلفظه «أنا» نفسه المجرّدة الملكوتيَّة، أسأل من بدو العمر إلى هذا الوقت هذا الرَّجل الَّذي هو جسده الشَّخصي الشَّريف، وهذا الكلام كناية عن دوام التعلق بين الرُّوح والبدن، فإنَّ الرُّوح لم يزل له تعلُّق بالبدن ونظر إليه لأنَّه بيت غربته ومسكن كربته ومركب سيره وسرير تحصيله.

ثمَّ بيَّن ما وقع بينهما من المخاطبات باللِّسان الحالي والنُّطق النَّفس الأمري فقلت له: أي للجسد، من أنت؟ فقال: أنا الطين (إلى قوله) إلى الطين وهذه الفقرات ظاهرة لا ريب فيها، إذ البدن جسم أرضي ترابي وقد خُلق من التُّراب ورجوعه أيضاً إلى التُّراب.

ثمَّ لمَّا أقرَّ الجسد بالعجز والذّلة والمسكنة وكونه من التُّراب الَّذي هو أوضع الأشياء وأنزلها سأله وقال: من أنا؟ فقال: أنت أبو تراب أي أنت قيّم البدن ومربيّه والمتصرف فيه، ثمَّ لمَّا كان غاية التعلُّق بينهما موهماً للوحدة والاتحاد فسأله وقال له: أنا أنت؟ أي أنا مثلك تراب ومركب ميِّت فأجاب بما هو الواقع من تنزيه الرُّوح وتعاليه من أن يكون عين

---

(١) مشكلات العلوم: ص٢١٢.

البدن، فقال: «حاشاك حاشاك» أي أنت منزَّه من أن تكون مثلي، إذ النُّور لا يكون ظلمة، وهذا أي تقديسك وتعاليك من العينية والاتحاد من الأُمور الدِّينية الثَّابتة في الدِّين.

ثمَّ صرَّح ثانياً للتأكيد بذلك وبعلَّة عدم جواز إمكان التَّعبير عن الجسد بأنا قال: وأنا أنا، كيف يتصوَّر في حقِّي التَّعبير عن ذاتي بأنا مع أنِّي «أنا ذات الذَّوات والذَّات في الذَّوات» أي مع أنَّ أنا أعني الحقيقة هنا أي الحقيقة العلويَّة المرتضويَّة ذات الذَّوات أي الذَّات الَّذي نشأ ووجد بواسطة ذوات الأشياء لأنَّ حقيقته متَّحدة مع الحقيقة المحمَّدية ﷺ كما قال ﷺ «أنا وعليّ من نور واحد» والحقيقة المحمَّديَّة ﷺ هي الفيض الأوَّل الَّذي انتشر منه سائر الفيوضات والمخلوق الأوَّل الَّذي صار واسطة لإيجاد المخلوقات كما قال ﷺ: «أوَّل ما خلق الله نُوري» أو «روحي» ومن هنا يظهر سرّ قوله تعالى خطاباً لنبيّه ﷺ كما في الخبر القدسي: «لولاك لما خلقت الأفلاك» ولولا عليّ لما خلقتك» إذ عدم علي عليه السلام كان مقضتياً لعدمه ﷺ نظراً إلى اتحاد نورهما صلَّى الله عليهما وآلهما.

وقوله: «والذَّات في الذَّوات للذَّات» معناه أي الذَّات المخصوص الَّذي هو ذات الذَّوات في جملة الذَّوات مخصوص بكونه للذَّات أي الذَّات المطلقة الإلٰهيَّة أي أنَّه من بين الذَّوات صادر بلا واسطة عن الذَّات الإلٰهيَّة لأنَّه أوَّل ما خلق كما مرّ.

وفي بعض النسخ لم يوجد لفظة الذَّات بل العبارة هكذا «وأنا ذات الذَّوات في الذَّوات للذَّات» أي «أنا ذات الذَّوات في الذَّوات للذَّات» فإنَّه لمَّا ذكر أنَّ أنا هنا ذات الذَّوات يوهم كونه ذات جميع الذَّوات حتَّى

الذَّوات الواجبيَّة، فدفع ذلك بأنَّه ذات الذَّوات في الذَّوات الممكنة الصادرة عن الذَّات الإلٰهيَّة.

ثمَّ قال «عرفت» أي عرفت أنَّ علياً مخلوق لله تعالى ولكن أشرف مخلوقات الله وأوَّلها وسرّ الله ونوره الأوَّل المتّحد مع نور نبيّه ﷺ، فلمَّا قال نعم عرفت ذلك، قال: فأمسك أي تبّت على ذلك، وتيقَّن بأنَّ عليَّاً تالي النَّبي ﷺ وصنوه ومثله وشبهه وهو أفضل الخلق بعده فهو الحري بنيابته وخلافته ولا يليق بذلك غيره فليس إلٰهاً كما يقوله المفرّطون فقد ثبت بذلك كفر المشرك الغالي والمبغض الغالي وظهر حقيَّة النمط الأوسط الموالي التالي[١].

رابعاً: الإنسان في عالم الدُّنيا:

لقد نزلت الروح إلى العالم الأدنى الَّذي هو دار المادَّة، والفساد، والظلام، والتكاثر.

عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي، عن أبيه قال: قدمت الرّبذة فدخلت على أبي ذرّ فقال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده فلم أر في المسجد أحداً من النَّاس إلاَّ رسول الله وعلي عليه السلام إلى جانبه جالس فاغتنمت خلوة المسجد فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمّي أوصني بوصيَّة ينفعني الله بها.

فقال: نعم وأكرم بك يا أبا ذرّ إنَّك منَّا أهل البيت، وإنّي موصيك بوصيَّة فاحفظها، وساق ﷺ تلك الوصيَّة الجليلة المشتملة على طرق الخير وسبله نأخذ منها ما يتعلَّق بذمّ الدُّنيا.

---

(١) مشكلات العلوم: ص٢١٢.

قال ﷺ: يا أبا ذرّ، كن في الدُّنيا كأنَّك غريب أو كعابر سبيل، وعد نفسك في أهل القبور.

يا أبا ذرّ، الدُّنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر وما أصبح فيها مؤمن إلاَّ وهو حزين فكيف لا يحزن وقد أوعده الله أنَّه وارد جهنَّم ولم يعده أنَّه صادر عنها، وليلقين أمراضاً ومصيبات وأُموراً تغيظه وليظلمن فلا ينتصر يبتغي ثواباً من الله فما يزال فيها حزيناً حتَّى يفارقها فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة.

يا أبا ذرّ والَّذي نفس محمَّد بيده لو كانت الدُّنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الفاجر منها شربة من ماء.

يا أبا ذرّ إنَّ الدُّنيا ملعونة ملعون ما فيها إلاَّ ما ابتغى به وجه الله.

يا أبا ذرّ، ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من الدُّنيا خلقها ثمَّ أعرض عنها ولم ينظر إليها، ولا ينظر إليها حتَّى تقوم الساعة وما من شيء أحبّ إلى الله عزَّ وجلَّ من إيمان به وترك ما أمر أن يترك.

يا أبا ذرّ، إنَّ الله جلَّ ثناؤه أوحى إلى أخي عيسى عليه السلام لا تحبّ الدُّنيا فإنِّي لست أُحبّها، وأحبّ الآخرة فإنَّها هي دار المعاد.

يا أبا ذرّ، إنَّ جبرئيل عليه السلام أتاني بخزائن الدُّنيا على بغلة شهباء فقال لي: يا محمَّد، هذه خزائن الدُّنيا ولا ينقصك من حظّك عند ربّك.

قال: فقلت: حبيبي جبرئيل لا حاجة لي فيها، إذا جعت سألت ربِّي، وإذا شبعت شكرته.

يا أبا ذرّ، إذا أراد الله بعبد خيراً فقَّهه في الدِّين، وزهَّده في الدُّنيا، وبصَّره بعيوب نفسه.

يا أبا ذرّ، ما زهد عبد في الدُّنيا إلاَّ أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصَّره عيوب الدُّنيا وداءها ودوائها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام.

يا أبا ذرّ، إذا رأيت أخاك قد زهد في الدُّنيا فاستمع منه فإنَّه يُلقي إليك الحكمة.

فقلت: يا رسول الله، من أزهد النَّاس؟

قال: من لم ينس المقابر.

يا أبا ذرّ، من لم ينس المقابر والبلى، وترك ما يفنى لما يبقى، ومن لم يعد غداً من أيَّامه وعدّ نفسه في الموتى.

يا أبا ذرّ، الدُّنيا مشغلة للقلب والبدن وإن الله عزَّ وجلَّ يسأل أهل الدُّنيا عمَّا نعموا به في حلالها فكيف بما تنعموا به في حرامها.

يا أبا ذرّ، طوبى للزاهدين في الدُّنيا والراغبين في الآخرة الَّذين اتَّخذوا أرض الله بساطاً، وترابها فراشاً، ومائها طيباً، واتَّخذوا الكتاب شعاراً، والدُّعاء لله عزَّ وجلَّ دثاراً، وقرضوا الدُّنيا فرضاً.

يا أبا ذرّ، حرث الآخرة العمل الصالح، وحرث الدُّنيا المال والبنون.

يا أبا ذرّ، ما من شابّ يدع لذَّة الدُّنيا ولهوها وأهرم شبابه في طاعة الله إلاَّ أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صدِّيقاً[١].

وعن الإمام علي عليه السلام: لا تغرنكم الدُّنيا، فإنَّها دار بالبلاء محفوفة،

---

(١) الدُّنيا الفانية: ص٩٦.

وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، فكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم من شرها نزّالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور، أحوال مختلفة، وتارات متصرّمة، العيش فيها مذموم، والرخاء فيها لا يدوم، وإنَّما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها، وتغنيهم بحمامها[١].

قال السيِّد عبد الله شبّر رضوان الله تعالى عليه: «إنَّ من أحسن ما يُمثّل به حال الإنسان في هذه الدُّنيا بحال رجل يمشي في صحراء وسيعة، فإذا بأسد عظيم ذي خلق جسيم مقبل عليه ليفترسه، فبقي هذا الضعيف المهان متحيِّراً مدهوشاً لا يدري ما الحيلة، وليس له سلاح يدفعه به، ولا ملجأ يتحصَّن فيه، فنظر إلى بئر هناك فولج فيها خائفاً يترقَّب، فمنذ وصل إلى وسطها رأى حشيشاً نابتاً في وسطها على الحائط، فثبت به وهو يعلم أنَّه لا يفيده ولكن الغريق يتشبَّث بالحشيش، فنظر إلى فوقه فرأى الأسد منتظراً لخروجه حتَّى يفترسه، فنظر إلى قعر البئر، فرأى أفاعي أربعة فاتحة فاها لالتقامه بعد السقوط، فبينما هو في هذه الأهوال الجسيمة والأحوال العظيمة لا يمكنه الصعود من الأسد، والهبوط من الأفاعي، والحشيش لا يحتمله إذ قد خرج من الحائط جرذان أسود وأبيض وشرعا يقترضان ذلك الحشيش آناً فآناً، فبينما هو في هذه الأحوال إذ رأى قليلاً من العسل ممزوجاً ببعض التُّراب القذر قد اجتمع عليه الزنابير والذباب، فشرع في مخاصمتهم والأكل معهم وقد صرف جميع باله وخاطره إلى ذلك العسل، ونسي ما هو فيه من البلاء.

فهذا مثل الإنسان في انهماكه بلذَّات الدُّنيا، فالأسد هو الموت الَّذي

---

(١) المصدر نفسه: ص٥٦.

لا محيص منه ولا مفرّ عنه ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] والأفاعي الأربعة هي الأخلاط الأربع أيّها غلب قتل الإنسان، والبئر هي الدُّنيا، والحبل هو القمر، والجرذان اللَّيل والنَّهار يقرضان العمر، والعسل المخلوط بقذر التُّراب لذَّات الدُّنيا الممزوجة بالكدورات، والزنابير والذباب هم أبناء الدُّنيا المتزاحمون عليها.

هدف الخالق:

وإنّما أنزل الإنسان إلى الدُّنيا لهدف وغاية وهو الوصول إلى التكامل الاختياري من خلال العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥].

فمن عمل للوصول إلى الهدف فقد فاز بالجنَّة ورضوان وإلاَّ كان من الخاسرين.

ومن لطيف ما قيل:

قل لاخوان رأوني ميِّتاً ... فبكوني ورثوا لي حزنا

أتــظــنــون بــأنِّـي مـيِّـتـكـم ... لـيـس ذلـك الـمـيِّـت والـلَّـه أنـا

أنـا فـي الـصـور، وهـذا جـسـدي ... كـان بـيـتـي وقـمـيـص زمـنـا

أنـا كـنـز وحـجـابـي طـلـسـم ... مـن تـراب كـان لـي فـيـه عـنًّـا

أنـا درّ قـد حـواه صـدف ... كـنـت مـمـحـونـا فـعـفـت الـمـحـنـا

أنـا عـصـفـور وهـذا قـفـصـي ... طـرت مـنـه وبـقـي مـرتـهـنـا

أحـمـد الـلَّـه الَّـذي خـلَّـصـنـي ... وبـنـى لـي فـي الـمـعـالـي مـسـكـناً

عـاكـف فـي الـلـوح اقـرأ وأرى ... كـلَّـمـا كـان تـنـائـي ودنـا

وطـعـامـي وشـرابـي واحـد ... وهـو رمـز فـافـهـمـوه حـسـنـا

لـيـس خـمـراً سـائـغـاً أو عـسـلا ... لا ولا مـاء ولـكـن لـبـنـا

فـاهـدمـوا بـيـتـي ورضُّـوا قـفـصـي ... وذروا الـطـلـسـم يـفـنـى بـفـنـا

وردائـي وقـمـيـصـي مـزقـوا ... واتـركـوا الـكـلّ دفـيـنـا بـفِـنـا

قـد تـرحَّـلـت وخـلـفـتـكـم ... لـسـت أرضـى داركـم لـي وطـنـا

لا تـظـنـوا الـمـوت مـوتـاً أنَّـه ... لـحـيـاة وهـو غـايـات الـمـنـى

حـي ذا الـدار نـوم مـغـرق ... فـإذا مـات أطـار الـوسـنـا

لا تـرعـكـم هـجـة الـمـوت فـمـا ... هـو إلاَّ نـقـلـه مـن هٰـهـنـا

وخـذوا فـي الـزاد جـهـداً لا تـنـوا ... لـيـس بـالـعـاقـل مـنَّـا مـن ونـا

واحـسـنـوا الـظـنّ بـربٍّ راحـم ... شـاكـر لـلـسـعـي وأتـو أمـنـا

عـنـصـر الأنـفـس مـنَّـا واحـد ... واعـتـقـادي أنَّـكـم أنـتـم أنـا

فـارحـمـونـي تـرحـمـوا أنـفـسـكـم ... واعـلـمـوا أنَّـكـم فـي أثـرنـا

أسـأل الـلَّـه لـنـفـسـي رحـمـة ... رحـم الـلَّـه صـديـقـاً أمـنـا

وعـلـيـكـم مـن سـلامـي طـيـب ... سـلَّـم الـلَّـه عـلـيـكـم وثـنـا[1]

---

(١) الدُّنيا الفانية: ص٢٦٣.

معرفة النفس:

وممَّا يساعد على الوصول إلى الهدف هو «معرفة النَّفس» وما فيه صلاحها أو فسادها، حياتها أو موتها.

عن الإمام علي عليه السلام: «غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه».

و«مَن عرف نفسه فقد عرف ربّه».

وعنه عليه السلام: «إنَّ للجسم ست أحوال: الصحة والمرض، والموت والحياة، والنوم واليقظة. وكذلك الروح فحياتها علمها، وموتها جهلها، ومرضها شكها، وصحتها يقينها، ونومها غفلتها، ويقظتها حفظها»(١).

ثمَّ الابتعاد عن الدُّنيا ـ وهو الزهد ـ والاتصال بعالم النُّور، وهو الهجرة الروحية ـ ويتحقق من خلال اتباع النبي محمَّد وآله الطاهرين، وتلاوة القرآن الكريم، والمداومة على ذكر الله تعالى.

كتب أرسطاطاليس إلى السيِّد المسيح عليه السلام: «يا طبيب النُّفوس بداء الجهالة، المكنفة بأكناف الرذالة، المنغمسة في العلائق البدنية، المكدرة بكدورات الطبيعة، ويا موقظ القوم من رقدة الغافلين، ومنبّه العباد من مضيق الجاهلين، يا منجي الهلكى، ويا غياث من استغاث، إنَّ ذاتاً هبطت فاعترفت وتذكرت فمنعت فهل إلى ذلك من سبيل؟ فأجابه المسيح عليه السلام: يا من شرَّفك بالاستعدادات العقلية والرموزات النقلية، كن طالباً لتنوير النَّفس بالأنوار الإلٰهيَّة القدسيَّة الجاذبة من الدار الدنية إلى الدار السنية الباقية الَّتي هي محل الأرواح الطاهرة والنُّفوس

---

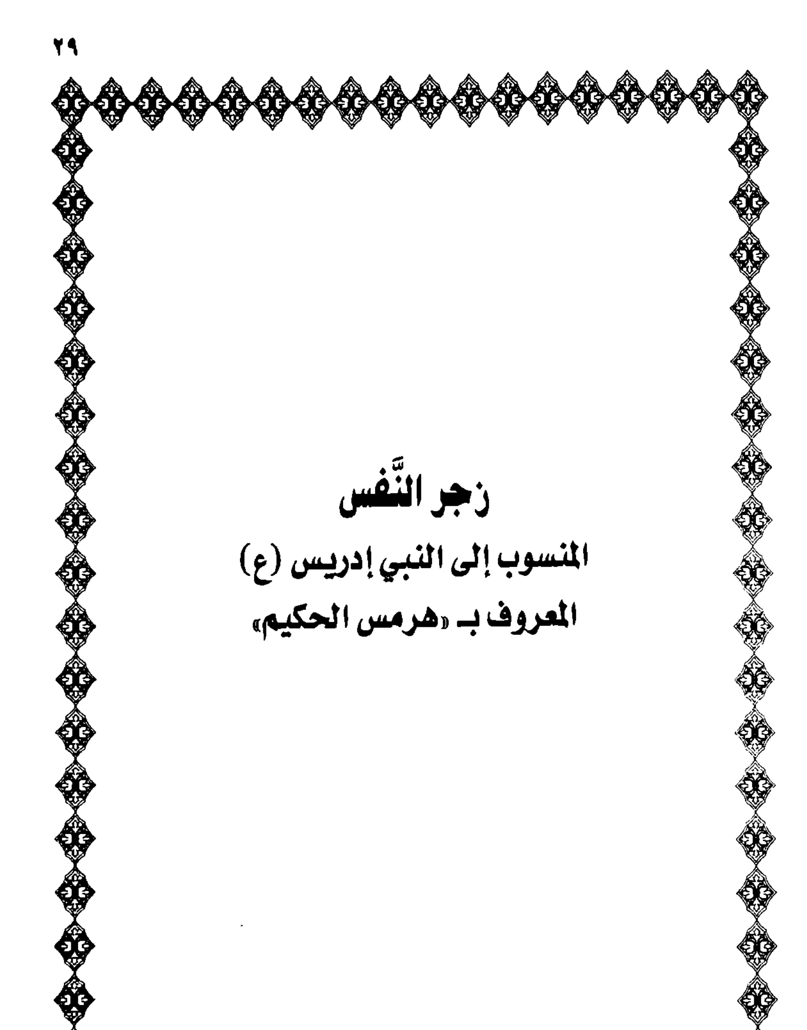
(١) ميزان الحكمة.

الزكيَّة، وأعلم أنَّ مجرَّد العقل غير كافٍ في الهداية إلى الصراط المستقيم»[١].

ولذا كثرت النصوص الدِّينيَّة الَّتي تركِّز على زجر النَّفس وموعظتها وإيقاظها من غفلتها، ومن تلك النصوص كتاب «زجر النَّفس» المنسوب إلى النبي إدريس عليه السلام وهو هذا الكتاب.

وقد أدخلنا في الرسالة عناوين الموضوعات لتكون أسهل للمطالعة مع شرح بعض الكلمات الغامضة، سائلين الله تعالى أن ينفعنا بها والله ولي التوفيق.

(١) جلاء الكروب: ص٢٥٤.



زجر النَّفس

المنسوب إلى النبي إدريس (ع)

المعروف بـ «هرمس الحكيم»

الفصل الأوَّل

اليقين:

يا نفس: تصوّري وتمثّلي ما أنا مورده من المعاني العقليَّة، الموجودة وجوداً دائماً، فما تصوّريه فاعقليه واقتنيه وتيقّنيه، كتيقّنك: أنَّ الحيّ جنس الإنسان[١]، وأنَّ المتنفِّس جنس لنوع الحيّ[٢] وكتيقّنك أيضاً أنَّ المستوي غير المعوج، وأنَّ الكلّ أعظم من الجزء[٣]، وأنَّ الماء يروي من العطش، وأنّه بارد بالطّبع، وأنَّ النَّار تحرق وأنَّها حارة يابسة، وكسائر ما عقلته وشاهدته وشافهته في عالم الحسّ والعقل[٤] وما خفي عنك.

التمثيل:

يا نفس: ممَّا أنا مبيّنه لك فاستعملي فيه التمثيل العقلي[٥]، الصَّحيح، التَّبريء من الأغلاط فإنَّه سيدلّك ظاهر ما شاهدته على باطن ما غاب عنك، كما استدلَّ النَّاظر إلى الصورة الممثّلة في الحائط على

---

(١) وهو من له علم وإدراك، والمراد أنَّ الحي أعم من الإنسان.
(٢) أي أنَّ المتنفّس أعم من الحي.
(٣) الكل يفيد الاستغراق لأفراد ما يُضاف إليه.
(٤) عالم الحس هو عالم المادة ويقابله عالم العقل الَّذي هو من العالم الأرفع.
(٥) هو إثبات حكم في أمر لثبوته في آخر لعلّة مشابهة بينهما.

وجود المصوّر لتلك الصورة، وكما استدلَّ ممَّا عاين من حركات يد الكاتب على سائر تخطيطها وتشكيلها، وعلى لطائف ما كان قائماً في فكره ونفسه.

وفي جملة ذلك يا نفس: فإنَّه قد يستعمل التَّمثيل في الاعتبار والتعجُب ممَّا قد ورد فيما هو غير وارد لا محالة بضروب الأمثال على غائبها وشاهدها. فاستعملي يا نفس: التصور والتمثل[١] في سائر الأشياء، الموجودة عقلاً وحسَّاً، واعلمي أنَّ الشَّيء الذَّاتي بالحقيقة الأصليَّة النوري هو المفيد للحكم اللَّطيفة والتميزات الشَّريفة والحياة الدَّائمة، ولكيفيَّة سائر الأشياء الَّتي هي جزئيَّات لا أجزاء، وهو كلّي لها لا كلّ[٢].

فاعتبري ذلك يا نفس: وتيقَّظي واحذري الغفلة والتواني واستعملي التَّهذّب والحذر من أوساخ الطبيعة واستعيني على ذلك بالخضوع والرَّغبة إلى ينبوع الخير ومظهره وأصله ومبدعه ومفيد الحكمة والحياة والجود التَّام والرَّحمة، لتحيي بذلك يا نفس وتسعدي.

يا نفس: أنَّ مبدع الأشياء ومبدئها ومنشئها جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه: أبدعك وجعلك ذات التصوّر والتمثّل، فأمَّا التصوّر فتصوّرك الشَّيء على حقيقة ما أبدعه مبدعه.

وأمَّا التمثّل فتمثّلك ما خفي عنك معناه من عالم العقل بما شهدته في عالم الحسّ، مثلاً بمثل ومعنى بمعنى، كما دلَّت الصورة المطبوعة من السَّمع على معنى حقيقتها في الطَّابع، وكماتدلُّ الصورة الممثّلة على

---

(١) التصور هو مطلق الحضور الذهني.

(٢) الكلي هو الشامل لجميع الأفراد الداخلين في صنف معين.

معنى حقيقتها في نفس ممثّلها ومصوّرها. واعلمي أنَّ جميع ما أنت مشاهدة له في عالم الحسّ والكون من الصور والصُّنع، هي تمثالات وتشكيلات معان؛ هي في عالم العقل بالحقيقة، غير زائلة ولا بائدة، وإنَّما تصوّر العقل ذاته في الهيُولي[١]، ثمَّ ينظر بذاته إلى معاني ذاته وصورها، فيلتذّ بذلك معجباً فيه بذاته واللذَّة العقليَّة، هي ما يناله العقل من ذاته بذاته لا بشيء خارج عنه، ولا يعرض عارض؛ بل من ذاته لذاته، وهي هذه اللذّة الحقّ الدّائمة، الأبديَّة.

يا نفس: اقتني معرفة الأشياء وأنّياتها وماهيَّاتها[٢] ولا تجعلي لمعرفة كميَّاتها وكيفيَّاتها[٣]، لأنَّ المطلبين الأوَّلين بسيطان أزليَّان، لا وسط بين النَّفس وبينهما، وأنَّ المطلبين الآخرين مركَّبان، زمانيان، مكانيَّان.

واعلمي يا نفس: أنَّ علم المركَّبات منفصل عنك عند مفارقتك الحسّ، فخذي علم البسيط وذري علم المركَّبات.

(١) هو جوهر في الجسم مقابل لما يعرض من الاتصال والانفصال.
(٢) الماهية هي ما به حجاب عن سؤال بما هو أو هي.
(٣) الكم هو العرض الَّذي يقتضي الانقسام لذاته.

الفصل الثَّاني

الغرور بالدُّنيا:

يا نفس: لا تذمِّي الدُّنيا فتقولي: هي دار خديعة ومفسدة فإنَّها ليست «كذلك» إلاَّ عند ذوي العقول النَّاقصة ومن يعرض له النسيان والجهل، ولو كانت دار خديعة بالحقيقة لكان الإنسان منذ بدء ظهوره فيها إلى وقت خروجه منها لا يشافهه منها إلاَّ نعيم ولذَّات وسرور. ثمَّ تأتيه المساءة بغتة، فتزيله عن ذلك النعيم وليس الأمر فيها «كذلك»؛ بل إنَّما يرى الإنسان أحوالاً مختلة لا نظام لها، فيوماً محزوناً ويوماً مسروراً ويوماً ملتذّاً ويوماً متألماً متوجِّعاً، والشيء إذا أظهر لك جميع ما في طبعه، فقد أنصفك ونصحك، وإنَّما المخادع من كان في طبعه الخير والشر، فأظهر لك الخير وأبطن لك الشر، لوقت المكنة منك. ولست أرى أحداً نال من هذه الدُّنيا فرصة وراحة، إلاَّ وأعقبه غصَّة وألماً، وليس هذا شرط المخادعة من قبل الدُّنيا، وإنَّما المخادعة من قبل الإنسان نفسه، وذلك: انَّ الإنسان النَّاقص، والمخادع نفسه والملك لها الدُّنيا، لأنَّ الدُّنيا قد أظهرت له جميع ما في طبعها من نعيم وبؤس، واغتبط الإنسان الضَّعيف العقل بنعيمها ولتفقّده دائماً ونسيه بؤسها وأهمله، ثمَّ يقول: خدعتني الدُّنيا.

يا نفس: لا تكن أخلاقك في هذه الدُّنيا كأخلاق الصَّبيّ الَّذي لا عقل له، إن أطعم ورفق به رضي وضحك، وإن شدَّد عليه بكىٰ

وغضب، فهو بينما يكون ضاحكاً حتَّى يكون باكياً؛ وبينما يكون راضياً حتَّى يكون غضباناً وليس هذه أخلاق فردية؛ بل أخلاق مشتركة مذمومة.

يا نفس: إنَّما رتَّبت الدُّنيا على هذه المعاني المختلفة الَّتي هي خير وشرّ ونعيم وبؤس وشدَّة ورخاء، تنبيهاً للنَّفس وإيقاظاً لها وأمثلة تعمل عليها، فتكتسب بذلك العقل المضيء النيِّر والعالم التَّام، الَّذي هو الحكمة والمعرفة بحقائق الأشياء، **وإنَّما وردت إليها النَّفس، لتعلم وتختبر، ومن ورد إلى محلّ من المحال، ليعلمه ويختبر حاله ثمَّ ترك العلم والاختبار والبحث، وتشاغل بالنِّعم والتَّلذّذ، فقد ضيَّع مطلبه ونسي إربه الَّذي قصد له.**

الدُّنيا مرآة:

يا نفس: إنَّما هذه الدُّنيا دار علم وبحث واختبار للمتأمّلين. فتأمَّلي يا نفس: جميع معانيها وصورها وهيئاتها وتشكيلاتها المحسوسة، الزَّائلة الأشخاص. واعلمي: إنَّما هي أمثلة للصور الخفيَّة والتشكيلات الحقيقيَّة الدَّائمة الأبديَّة.

وبالجملة يا نفس: فإنَّه ليس في عالم العقل نوع إلاَّ وله شكل «ظاهر» في جريان الطَّبيعة، و«كذلك» كلّ ما هو موجود في عالم الكون إنَّما هو دواعي ومثالات لذَّاته الزَّائلة الكاذبة، تدلُّ على اللَّذَّات الصَّادقة الدَّائمة وصوره المنحلَّة السَّائلة الهالكة، تدلُّ على الصّور الباقية الثَّابتة، وأنَّ اختلاف جميع ما في الحسّ وزواله، يدلُّ على اتّفاق جميع ما في العقل وبقائه وثباته، فما دمت يا نفس؛ في عالم الطَّبيعة فلا تطلبي لذّة ولا تتشاغلي لمحسوس عن العلم والتَّصوُّر والتَّمثيل والبحث والاستكشاف، لجميع ما قصدت له من مطالبك وآرائك وتهذّبي من أوزار جسمك وتنقي من المخالفة لجوهرك؛ ثمَّ صيري إلى عالم اللَّذات الخفيَّة والسُّرور الدَّائم

والبسي حلل الذَّاتيَّة وتصوّري بصورك الجوهريَّة، الدَّائمة الباقية، الَّتي شاهدت تشكيلاتها ومثالات أنواعها وأنت في عالم الكون والفساد، فتيقَّني يا نفس: جميع ما قد شرحته لك واعقلي له.

الحذر من الدُّنيا:

يا نفس: إنَّ مهلكات النُّفوس ثلاثة أجناس: الشِّرك وهو فساد قوَّة النّطق، والظُّلم وهو إفراط القوَّة الغضبيَّة؛ والتلذُّذ وهو إفراط الشَّهوة؛ ويجمع هذه الأجناس أصل واحد وهو حبّ الدُّنيا. فاحذري يا نفس من الدُّنيا. واعرضي عنها وانظري إليها بعين الخائف الوجل منها، كالطَّائر الَّذي عرف الفخّ المنصوب وفطن له، فانحرف عنه وحذره.

واعلمي يا نفس: إنَّ حذرك من جنس الشِّرك يذهب بك إلى رتبة التَّوحيد، وإنَّ حذرك من جنس الظُّلم، يذهب بك إلى رتبة النُّور والصَّفاء والتَّمحُّض والتَّرهب، وإنَّ حذرك من جنس التَّلذُّذ يريحك من مقاساة الخوف والحزن والجهل والفقر، فتبقى بحقيقة هذه المعاني وتيقّنها. واعلمي بها تحيي وتسلمي بها من الهلكة.

التدبُّر بكلام الله تعالى:

يا نفس: إنَّ المبدع جلَّ اسمه، كالنَّاطق الفائض بما عنده من المعاني والجواهر، كلّها على المستمعين منه، وليس كلّ المستمعين يفهمون من التَّكلُّم؛ بل منهم من يحتاج إلى ترجمان نوريّ له ووسيط متوسّط بين النَّاطق والسَّامع، وذلك لضعف السَّامع عن فهم القول، فلا تكوني يا نفس: من الجواهر المحتاجة إلى الوسائط، فإنَّ التّرجمان ربّما خان في تغيير الكلام وغيَّر القول وحرَّفه، فاخرجي يا نفس عن رتبة العجومة إلى رتبة الفصاحة، واقتني العلم قبل العمل.

الفصل الثَّالث

ضعف الإنسان:

يا نفس: حتَّى متى أنت فقيرة، هاربة من ضدّ إلى ضدّ، فتارة هاربة من الحرّ إلى البرد، وتارة من البرد إلى الحرّ، وتارة من الجوع إلى الشَّبع، وتارة من الشَّبع إلى الجوع، و«كذلك» في سائر الأطعمة والرَّوائح، إن أسرفت عليك الحلاوة، افتقرت إلى الملوحة، وإن أسرفت عليك الملوحة، افتقرت إلى الحموضة، و«كذلك» أنت في جميع المشمومات وجميع ما أنت مشاهدة له في عالم الحسّ، فبينما أنت فقيرة إلى المقتنيات، فإذا وصلت إلى ذلك اكتسبت الخوف عليها ما دامت معك، فإذا فارقتك وفقدتها، زال عنك الخوف وأعقبك ذاك حزناً وغمّاً، فانزعي يا نفس: هذا الشَّيء الَّذي أنت مشاهدة به لهذه الأشياء الَّذي أنت واحدة لهذه الأمراض والآلام بسببه، ولا تأسي لمفارقة الأحزان والهموم والخوف والفقر، ولا تكرهي مواصلة الغنى والعزّ والأمن والسُّرور، فإنَّه من آثر الفقر على الغنى والخوف على الأمن والذُّلّ على العزّ، كان جاهلاً، ومن جهل ضلَّ ومن ضلَّ هلك.

الارتباط بالعالم الأصلي:

يا نفس: تيقَّني أنَّك قد برزت على أصل أنت فرعه، وأنَّ الفرع وإن جرى

على غاية في البعد عن أصله فإنَّ بينه وبينه وصلة ورابطاً، وبهذه الوصلة والرّباط يستمدّ كلّ فرع من أصله، كالشَّجرة المثمرة، فإنَّ الثَّمرة وإن بعدت عن أصلها، كان بينها وبينه اتّصال وربط به يكون استمدادها منه، ولو عُدم ذلك الاتّصال بأن قطع بينهما قاطع ممَّا سواهما فسد الفرع في الحال وتلف، فتبصَّري يا نفس: هذه الأشياء وتيقّنيها؛ واعلمي: **انَّك راجعة إلى مبدئك الَّذي هو أصلك ووثيقك؛ واحذري من أوساخ الآنات المبطنة بك عن سرعة الرُّجوع إلى عالمك وأصلك.**

اختيار عالم العقل:

يا نفس: هذا عالم الطَّبيعة وهو محلّ الفقر والخوف والذُّلّ والحزن، وهذا عالم العقل وهو محلّ الغنى والأمن والعز والسُّرور، وقد شاهدتيهما جميعاً وسكنتيهما، فتخيَّري على علم وبصيرة، واختبري اللّبوث في أيّهما شئت غير مدفوعة ولا ممنوعة، واعلمي: انَّ من الممتنع أن يكون إنسان فقيراً، غنيَّاً، خائفاً، آمناً، عزيزاً، ذليلاً، مسروراً، محزوناً وإذا كان هذا هكذا «فكذلك» لا يمكن أن يجتمع للإنسان حبّ الدُّنيا وحبّ الآخرة، بل ذلك من الممتنع أشدّ الامتناع.

الموت الاختياري:

يا نفس: من طرح سلاحه واستسلم لعدوّه وجب أسره، ومن قاتل بسلاحه وحمى نفسه وجب قتله، وأيّ نفس وردت إلى عالم الطَّبيعة، فلا تدلّها أن تسلك إحدى هاتين الحالتين، أمَّا القتل وأمَّا الأسر، فمن اختار الأسر، فقد اختار طول العذاب وهوان الاستعمال وذلّ العبوديَّة، ومن اختار القتل مات عزيزاً وكان موته حياة له واستراح من الأسر وهوانه وطول ذلّه.

يا نفس: متى نويت ترك الأفعال الخسيسة الدَّنيَّة، فاقصد نبعتها[1] وأصلها فاجتنبيه وهو حبّ الدُّنيا ومتى نويت الأفعال الشَّريفة الإلٰهيَّة فاقصدي أصلها، فاغرسيه وربّيه وهو الزُّهد في الدُّنيا.

يا نفس: لا تغتري بدنيَّات الأُمور وخسائسها فتلزمك العادة بذلك، فتكتسبي طبعاً مخالفاً لطبيعتك، فتعدمي الانضياف إليها والرُّجوع إلى وطنك، واعلمي: انَّ مبدع الأشياء جلَّ وعلا، هو أشرف الأشياء كلّها، فاقتني لشرائف الأشياء لتقربي من بارئك بطريق المجانسة.

البلاء من طبيعة الدُّنيا:

يا نفس: تطلبين الاستقرار وأنت في عالم الكون والفساد؟ أيّ استقرار يوجد في عالم الكون والفساد؟ انَّ الدَّف ما دام على ظهر الماء فلا قرار له ولا طمأنينة البتَّة، وإن استقرّ وقتاً ما. فإنَّ ذلك بالعرض، ثمَّ يعود الماء باضطرابه وتموّجه بما على ظهره، وإنَّما يستقرّ ذلك الدَّف: إذا أخرج من الماء وأُعيد إلى الأرض، الَّتي هي نبعته وأصله ومشاكلة له بالكثافة والثّقل، «فحينئذٍ» يستقرّ به القرار؛ **«وكذلك» النَّفس، ما دامت في حدثان الطَّبيعة لا راحة لها وقرار، ولا طمأنينة لأتعابه لها وخذلانه لها، فإذا عادت إلى نبعتها وأصلها، استقرَّت وظفرت بالرَّاحة واستراحت من شقاء الغربة وذلّها.**

---

(١) النبع شجر يتَّخذ منه القسي، الواحدة نبعة ويتَّخذ من أغصانها السّهام.

الفصل الرَّابع

الزُّهد في الدُّنيا:

يا نفس: إنَّ عالم الطَّبيعة صفو وكدر، فتجرَّعي كدره قبل صفوه، فإنَّه الَّذي ينبغي أن يكون في التَّدبير والسياسة. واعلمي: انَّ شرب الصَّفو بعد الكدر، خير من شرب الكدر بعد الصَّفو، ولا تغترّي بقولي: إنَّ في عالم الطَّبيعة صفواً، وأيّ صفو يوجد فيه؟ وهو كدر، وكلّ كدر، وإنَّما ضربت لك ذلك مثلاً، **فإن أردت الصَّافي الهنيّ فاطلبيه في عالم غير عالم الكون والفساد، فإنَّك إن طلبته في معدنه وجدته، وإن طلبته في غير معدنه عدمته**، وإن عدمت طلبت، اقترنت بك الأحزان، وأعقبك ذلك مرضاً يؤدِّي بك إلى الموت من العيش العقلي، والحياة الدَّائمة.

بحر الدُّنيا:

يا نفس: أنَّ هذا المركب الَّذي قد ركبت في البحر العظيم، إنَّما هو من مياه تجمده بالعرض، فيوشك أن تطلع عليه الشَّمس فتنحلّ إلى عنصرها وتتركك جالسة على وجه الماء، إن أمكنك الجلوس، تطلبين مركباً، ولا مركب إلاَّ ما اكتسبته من جودة السّباحة وحسن التأني.

الرؤيا والتبصّر:

يا نفس: انَّ الماء الصَّافي النَّقي مؤد إلى رؤية سائر ما في ذاته، فإذا

شافهه الكدر حجب التَّبصُّر عن إدراك سائر الأشياء المسكّنة فيه، وكذلك نور الشَّمس إذا أشرق على الأشياء، كان البصر مدركاً لها بالحقيقة، فإذا عرض فيه البخار والدُّخان والغبار، حال بين البصر وبين إدراكه تلك الأشياء، و«كذلك» أنوار العقل اللَّطيفة الشَّريفة، إذا امتزجت بالأشياء الكثيفة، المظلمة كدرتها وعافتها عن إدراك ما في ذاتها من الصّورة والأشكال، «فحينئذٍ» تبقى النَّفس فقيرة من مقتنياتها جاهلة لمعلوماتها، عادتها حسن التَّهدّي إلى طريق نجاتها.

حقيقة الزهد:

يا نفس: ليس الزُّهد في دار الدُّنيا بترك تزيينها وإصلاحها مع الرِّضا بالمقام فيها، وإنَّما الزُّهد التَّام الرِّضا بالتَّحويل عنها، والاشتياق إلى النَّقلة منها، وكذلك يا نفس: ليس الزُّهد في عالم الطَّبيعة بترك لذَّاته وشهواته مع الرِّضا بالمقام فيه، **إنَّما الزُّهد بالحقيقة شدَّة الشَّوق إلى مفارقته والرَّاحة منه، ومن معاندته ومضادته**.

السعادة بالموت:

فينبغي لك يا نفس: أن تعقدي الشَّوق إلى الموت والرِّضا به، وتحذري الفشل عنه، فبالخوف منه تكون الهلكة، وبالشَّوق إليه تكون السَّلامة، ألا تعلمين يا نفس: انَّك بالموت منتقلة من الضّيق إلى السّعة، ومن الفقر إلى الغنى! ومن الحزن إلى السُّرور! ومن الخوف إلى الأمن! ومن التَّعب إلى الرَّاحة، ومن الألم إلى اللذَّة ومن المرض إلى الصَّحَّة! ومن الظّلمة إلى النُّور، فلا تأسي يا نفس: **على أن تسلبي** حلل الشَّرّ والشقاء، وتلبسي حلل الخير والبقاء.

مصاحبة الروحانيين:

يا نفس: تطلبين الاخوان والصَّحابة في عالم الكون والفساد، وقد علمت أنَّ ذلك جنس الممتنع، إنَّما يوجد ذلك في عالم الروحانيِّين، لانفراد ذواتهم وتمحضها وصفائها، فإن أحببت ذلك، فصيري إلى هناك لتظفري بمطلوباتك، ولا تطلبين من عالم الكون ما ليس فيه، لأنَّ سكَّانه أسرى ومماليك، فأيّ أخوة لأسير؟ وأيّ عهد لمملوك؟ فتيقَّني ذلك واعلمي واعتقديه يا نفس: **اعلمي وتيقَّني: إنَّ كلّ فاقد تائه، وأنَّ كلّ تائه هالك، فاحذري أن تقتني ما تفقديه منه فتنامي وتهلكي**.

يا نفس: ما أشدّ مفارقة الأحباب! وأشدّ من ذلك محبَّة كلّ مفارق.

أسباب النجاة:

يا نفس: تيقَّني وتفهَّمي بالاستقراء والتَّمثيل والتأمُّل: انَّ الأشياء الَّتي هي سبب هلاك النَّفس، الجهل والحزن والفقر والخوف.

واعلمي يا نفس: انَّ من بحث عن العلم عُدم الجهل، ومن ترك المقتنيات الخارجة عُدم الحزن، ومن عفّ عن الشَّهوات عُدم الفقر، ومن تشوَّق إلى الموت ورضي به عُدم الخوف.

الموت الاختياري:

يا نفس: انَّ الموت تحت الصَّبر والثَّبات عزّ، وانَّ الموت تحت الهزيمة والفشل ذلّ.

يا نفس: القتل إنَّما هو ساعة تنقضي ومقاساة ذلّ الأسر حال يطول، فارضي بالقتل في الطَّبيعة، ولا ترضي بالأسر، فإنَّ القتل بالطَّبيعة هو الحياة الدَّائمة.

العلم والعمل:

يا نفس: هذه رتب ثلاث، فكوني على أشرفها وأجملها، فأدناها رتبة: عالم غير عامل وهو كرجل ذي سلاح لا شجاعة له، والربتة الثانية رجل عامل غير عالم، وهو كرجل شجاع لا سلاح له، غير أنَّ الشّجاع على السّلاح أقدر من الجبان على الشَّجاعة، والرتبة الثالثة رجل عامل عالم، فهو رجل ذو شجاعة وسلاح، وهذه ينبغي أن تكون هي الرتبة الشَّريفة.

نورانيَّة النَّفس:

يا نفس: انَّ القمر نيّر، أورد إليه نور الشَّمس، فإذا عرض له، أن يحول بينهما ظلّ الأرض، انخسف وأظلم، «فكذلك» النَّفس، مضيئة ما ورد إليها نور العقل، فإذا توسطت أسباب الدَّم والبلغم والمرتين بينهما عُدمت النَّفس نورها، فانكسفت وأظلمت، وكما أنَّه ما دامت الأرض في وسط العالم لن يعدم القمر الخوف، كذلك النَّفس ما دامت ملازمة للطَّبيعة، لن تعدم الظّلمة والأذى، وقد تبيَّن من هذا الشَّرح: **انَّ راحة النَّفس في مفارقتها عالم الطَّبيعة**.

الفصل الخامس

الرجوع إلى الوطن:

يا نفس: ما بال سائر الجواهر الطَّبيعة غير العاقلة تكون متحرِّكة بالطبع إلى عناصرها ومواضعها الخاصَّة بها، لولا أنَّ كلّ جوهر إنَّما كان شرفه وعزّه أن يرجع إلى عنصره، فيكون هو وطنه ومحله.

يا نفس: أليس سائر ما يتكوَّن من التُّراب كالحجارة وغيرها، يرجع منحلاً إلى التُّراب، الَّذي هو أصله ونبعته، حتَّى أنَّه لو أخذ جزء من الأرض فعلى به من وجه الأرض، ثمَّ خلّىٰ سبيله يعود مسرعاً بحركته الطَّبيعة إلى عنصره وأصله، و«كذلك» سائر المياه، تراها أبداً متحرِّكة بالطَّبع إلى عنصرها الأعظم، ما لم يعقها عائق كسائر العيون الَّتي تنضاف إلى الأنهار وسائر الأنهار الَّتي تنضاف إلى البحر، الَّذي هو عنصر الماء، وكذلك غيرها كالنَّار مثلاً، فإنَّها أيضاً متحرِّكة بالطَّبع إلى عنصرها، فإذا كانت هذه الأشياء، الَّتي ليس لها عقل ولا تمييز، وإنَّما حركتها حركة هيام[1] وطبع، يتحرَّك كلّ شيء منها إلى حيث شرفه وعزّه وقوَّته، ويأبى البعد والغربة عن وطنه ومحلّه. **فما بالك أنت يا نفسي: وأنت ذات العقل والتَّمييز، تأبين الرُّجوع إلى وطنك وعنصرك،**

---

(١) الهيام: بالفتح الرمل الَّذي لا يتماسك أن يسيل من اليد للينه «مجمع البحرين». الهيام: جمع هُيُم: ما لا يتماسك من الرمل فهو ينهار أبداً «المنجد».

الَّذي فيه شرفك وعزّك، وتكرهين ذلك وتحبّين البعد عن أصلك ونبعتك، وتختارين اللّبوث في أرض الغربة ومقاساة الذُّلّ والهوان.

فيا ليت شعري: أبا الطَّبع تختارين ذلك أم بالعقل؟ فإن كان ذلك بالطَّبع، فساوى الطَّبيعة في أفعالها ورجوعها أبداً إلى عنصرها، وإن كان هذا منك بالعقل والتَّمييز فكيف يجوز للعاقل المميّز أن يختار الغربة على الوطن؟ ومحلّ الخساسة على محلّ الشَّرف؟ ومقاساة الذُّلّ والهوان على الرَّاحة والعزّ والكرامة؟ ومن توقف على هذه الرتبة، فتبيَّن أنَّه لا يعدّ في رتبة الطَّبيعات ولا في رتبة العقليَّات، وما لم يكن من هذين الجنسين، فليس هو بشيء ولا يعدّ في الموجودات؛ بل ينبغي أن يكون منفيّاً، فتصوّري يا نفس: هذه المعاني، وارجعي بعقلك إلى شرفك الأعلى ومحلّك الأقصى.

اللّذَّة:

يا نفس: أنّي تأمَّلت اللذَّات كلّها، فلم أجد ألذّ من ثلاثة أشياء: العلم والأمن والغنى، ولكلّ واحد من هذه الأشياء أصل وينبوع يحركه، فمن طلب العلم فليذهب إلى معنى التَّوحيد، فإنَّه بالتَّوحيد تكون المعرفة والعلم والتَّحقُّق، وبالإشراك تكون النكرة والجهل والشَّك، ومن طلب الغنى فليذهب إلى رتبة القنوع، فإنَّه لا قناعة لغني، ومن طلب الأمن فليعتقد التَّمنّي لمفارقة عالم الطَّبيعة.

يا نفس: ما دمت في عالم الكون، فاحذري حالتين هما والله مهالك النُّفوس واحذريهما وانحرفي عنهما انحراف الخائف الوجل منهما، وهما: النّساء والأشربة المسكرة.

يا نفس: انَّ الواقع في مصيدة النِّساء، كالطَّائر الواقع في يد صبيّ لا

عقل له، فالصَّبيّ يلهو به ويلعب ويفرح بهجاً بذلك مسروراً، والطَّائر في ذلك يتجرَّع غصص الموت، ويتلقَّى أنواع العذاب. وكذلك ينبغي يا نفس: أن تحذري الشّرب والسّكر، فإنَّ السّكر يجعل النَّفس كالسَّفينة المارة في تيار[١] الماء وأمواجه وليس فيها ملاَّح ولا مدبِّر لها. و«كذلك» النَّفس إذا فارقت العقل، جرت بها الطَّبيعة جريانها لا ترتيب له ولا نظام فهلكت وماتت.

---

(١) التيَّار: بالتشديد موج البحر «مجمع البحرين».

الفصل السّادس

الابتعاد عن عالم المادّة والظلام:

يا نفس: انَّه لو شرب شارب من الماء شربة واحدة، لقد كانت تلك الشربة تقرّر في نفسه المعرفة بطبيعة الماء كلّه، فإنَّ اختيار جزء من الشَّيء البارد لمنبأ عن جميعه. وإنَّ النَّاظر إلى كفّ من التُّراب، لعالم بالتُّراب كلّه، فإنَّ التُّراب وإن اختلف لونه فليس جوهره بمختلف، وإنَّ المصاحب للقرناء والخلاَّن الَّذين كلّهم من طينة واحدة وجوهر واحد، لعارف بأنَّ واحدهم لينبأ على جميعهم، فاقتصري يا نفس: بهذا الشَّرح، واكتفي به.

يا نفس: أنت صافية فلا تصحبي كدراً، وأنت نيِّرة غير مظلمة فلا تصحبي مظلماً، وأنت حيَّة ناطقة فلا تصحبي ميتة أبكم، وأنت عالمة عادلة فلا تصحبي جاهلاً جائراً، وأنت طاهرة نقيَّة فلا تصحبي نجساً دنساً، وأنت متصرّفة بالتَّمييز والإرادة فلا تصحبي المتحرِّك حركة الهيام.

الغرق في بحر الدُّنيا:

يا نفس: ما اشتغل الغريق في الماء عن صيد السَّمك، و«كذلك» ساكن الدُّنيا فما أشغله عن مقتنياتها ولذَّاتها، إن فطن لسوء وقوعه فيها.

يا نفس: انَّه يجزيك وأنت في عالم الحسّ ما تقايسينه من آلتك

وأضدادها وأوساقها، فلا تضيقي إلى الآتك شخصاً آخر، فتكون كالغريق المرتهن في البحر، قد حمل على عاتقه حجراً، وما كلّ غريق ينجو من البحر مجرَّداً بنفسه، فكيف إذا حمل على عاتقه حجراً.

يا نفس: اعلمي أنَّ كلّ شيء يذهب وينتقل إلى نحو العلوّ، ينبغي أن يكون خفيفاً صافياً نقيَّاً، ليكون أسرع لممره إلى غايته.

الرجوع إلى عالم العقل:

يا نفس: انَّ الأصناف الشَّريفة ترد من عالمها إلى عالم الطَّبيعة ورود مختبر له، فإذا استعملت الآلات الَّتي تشافه بها الأطعمة والرَّوائح والمبصرات وجميع الآلام العارضة في الحسّ، نسيت عالمها وجميع ما فيه، وظنَّت أنَّه لا شيء غير ما هي مشاهدة له في الحسّ «فحينئذٍ» تنسى عالم العقل وتُعدم ذكره، ثمَّ أنَّها كلَّما عقلت شيئاً، ممَّا نسيته انجلى بصرها وقويت صحَّتها وفاقت مرضها، وعند ذلك تدرك ببصر عقلها، أنَّ جميع ما هي مشاهدة له في عالم الحسّ، إنَّما هو خيالات أشياء، لا أشياء بالحقيقة وخيال الشَّيء هو ظلّ الشَّيء بالحقيقة، وإنَّما عرض للنَّفس بمرابط أشكال الأنواع، دون الأنواع نسيانها عالم العقل أولاً عند ورودها إلى عالم الحسّ. وبتأمّلها هذه المعاني وذكرها إيَّاها، تكون صحَّتها من مرضها وعقلها بعد جهلها، فتذهب راجعة بتمام المعاني الحقيقية والحياة السَّرمديَّة.

جاذبية الانخداع بالظاهر:

يا نفس: تأمَّلي قولي وافهميه واعلمي: أنَّ العقل للنَّفس كالأب والطَّبيعة كالزوجة، وأنَّ للنَّفس جهتين تميل إليهما، فتارة تميل نحو العقل بالمناسبة كالمناسبة الَّتي بين الأب والابن، وهذا هو الميل

الطَّبيعي الحقيقي، وتارة تميل نحو الطَّبيعة بالهوى كالعشق الَّذي يكون بين الرَّجل والزَّوجة، وهذا هو الميل العرض الزَّائل؛ فتأمَّلي يا نفس: الرَّجل إذا خلا مع زوجته كيف تعامله بالملاعبة والضَّحك والملق وتكلّمه بألطف ما يكون من الكلام وأرقّه، وليس ظاهر ما تبديه من ذلك كباطنه، لأنَّها إنَّما تفعل ذلك لتسعيد وتستعمله وتذهب به إلى المهالك.

فانظري يا نفس: إلى فعل الزَّوجة كيف تسقي العسل مخلوطاً بالسمّ القاتل، الرَّديء العاقبة، ثمَّ تأمَّلي يا نفس: فعل الرَّجل إذا خلا مع أبيه كيف يعامله بالعتب والتوبيخ ويكلّمه بأحقر ما يكون من الكلام وأخشنه، وليس ظاهر ما يبديه من ذلك كباطنه، لأنَّه إنَّما يريد بذلك تشريفه ومنفعته في جميع حالاته، فانظري يا نفس: إلى فعل الأب كيف يسقي الدَّواء المرّ الكريه، لمنفعته مخلوطاً بالصَّحة والحياة وحسن العاقبة. **وانَّ لطمة من أبيك خير لك من قبلة من زوجتك.**

الفصل السَّابع

مواعظ النَّفس:

يا نفس: حتَّى متى أنا أسوقك إلى طريق النَّجاة والمنفعة لي ولك ولا تساقين؟ وأنت سائقة إلى طريق المضرَّة والهلكة لي ولك، فلا أنساق معك، فإذا كان قد وجب هذا الخلاف بيني وبينك، فليس هٰهنا يا نفس غير المفارقة، فإذاً نفترق ويمضي كلّ واحد منَّا إلى حيث يهوى ويريد.

الحسرة:

يا نفس: إن فاتتك فرصة العمل بالنصيحة في أوان العمل، فاتتك حلاوة الاستثمار والثَّواب على صالح الأعمال، فإنَّه إن لم يغرس الشَّجرة في أوان الغرس لم يتلذَّذ بالثَّمرة عند أوان إدراك الثّمار.

المواعظ تصقل القلوب:

يا نفس: انَّ المواعظ المنبّهة، تصقل النُّفوس من الصَّدأ. وانَّ المرات الصَّيديَّة بالعرض السَّريع الزَّوال، ممكن بالصَّقل جلاؤها، وانَّ المرات الَّتي قبلت الصَّدأ بالعرض الثَّابت المبطىء الزَّوال، الخارج من حدّ القوَّة إلى حدّ الفعل بتمامه، وقد صار ذلك الصَّدأ طبعاً ثانياً مستحكماً، فلن ينجح فيها على الصَّقل، ولا يستخرج الصَّدأ منها إلاَّ بإعادتها إلى النَّار والسّبك، و«كذلك» **النُّفوس العرضيَّة تنجلي بالتنبيه**

والمواعظ فتذكَّر سالفات أُمورها، وأمَّا النُّفوس الطَّبيعيَّة الكدر والوسخ، فلا يجلوها إلاَّ دخولها في رتبة العذاب.

تذوّق حلاوة العالم الأعلى:

يا نفس: أنَّه لا يمكن لأحد أن يدرك فضل حلاوة العمل على مرارة الصَّبر، دون أن يذوقهما جميعاً ويعقلهما.

يا نفس: كم بين الخارج من الشيء قد خبره وذاقه عن زهد فيه، وبين الداخل إليه الراغب في أن يختبره ويذوقه.

يا نفس: انَّ المقاتل في الحرب يتمنَّى الخروج منها، لكرب القتال وثقل السِّلاح، ومن لم يشاهد حرباً قطّ، يشتهي أن يلاقي الحرب ويذوقها، **فإن كنت يا نفس: وصلت إلى غايتك ممَّا خبرته، فارجعي إلى نهايتك ممَّا كنت قد انستيه.**

قرين الخير والشرّ:

يا نفس: كم بين خليل يكدّرك ويجهلك ويعميك ويمنّيك الأماني الكاذبة الخسيسة، فأنت بسببه أبداً محتاجة فقيرة خائفة حزينة ذليلة مظلمة صدية مستعبدة، تتوهمين دوام خلّته وثباته وهو مسرع بجريانه إلى تركك والذَّهاب عنك و«حينئذٍ» يذيقك غصص الفراق وتوهان الفقد، فكم بين هذا الخليل يا نفس: إن افتقرت أغناك، وإن ضللت هداك، وإن جهلت علَّمك، وإن عميت بصرك، وهو أبداً معك كلَّما دمت معه، اكتسبت من شرفه شرفاً ومن نوره نوراً ومن حياته حياة، ومن علمه علماً ومن غناه وعزّه غناً وعزّاً، يقينك المقتنيات الدَّالة الأبديَّة ويفيض عليك بالصّلات، الموجودة الخفيَّة وأنت رابحة غير خاسرة.

الفصل الثامن

اختيار عالم النُّور:

إنَّه من كان له حبيب فقده، ثمَّ وجد مع فقده إيَّاه عنه عوضاً وبديلاً يوشك أن يسلاه وينساه، ولا سيَّما إذا كان الآتي أوفق وأحمد من الماضي، ومن فقد حبيباً ثمَّ لم يجد عنه عوضاً يوشك أن يطول حزنه ويعظم حسرته، ومن السياسة يا نفس: إن كان لك خليل، أنت متحقِّقة من فقده، وفراقه أن ترين عنه بديلاً وتلتمسي لك صاحباً وقريناً. ومن الواجب أن يكون لك لمستأنف أحمد وأوفق من الماضي.

يا نفس: فمن قبل مزايلتك عالم الكون والفساد تمكّني من مواصلتك عالم العقل، ومن قبل مفارقتك قرينك الغادر الدَّنيّ الفاني تخيّلي فراقه، وتخلي عنه رويداً رويداً واستقبلي مواصلة خليلك الآتي وانسي به وانصافي إليه رويداً رويداً.

يا نفس: انَّه من كان ساكن منزل فنغّصه وأراد الخروج، فينبغي أن يجد منزلاً قبل انتقاله منه، فإنَّه من انتقل من موضع ولم يعرف له موضعاً آخر ينتقل إليه، يوشك أن يبقى تائهاً مضطرّاً والاضطرار يلجئه إلى السكنى حيث وجد على غير ترتيب ولا اختيار، ولعلَّه يسكن للضرورة موضعاً شرّاً من موضعه الأوَّل، فيتنغَّص عيشه وتتكدَّر حياته.

يا نفس: انَّه ما من أحد يسكن في موضع وهو يشتهي أن ينتقل منه إلى

ما هو أشرف من الأوّل وأوسع وأبهى، فما بالك يا نفس: أنت وأنت تؤثرين السكنى في المساكن المظلمة الخربة الموحشة، وتتركين المساكن النيِّرة، المضيئة المؤنسة، حتَّى متى تكوني من عمار الخرابات الموحشة، وتكون منازلك الأزليَّة الخفيَّة منك معطَّلة خالية.

ينبوع الحياة:

يا نفس: تيقَّني ما أنا باسطه لك وممثّله، انِّي تأمَّلت هذا العالم مختبراً له وباحثاً عنه، فوجدت سؤالها على جهة الابتداء على معنى امتياز، وكلَّما لطف وشرف امتاز إلى العلو وكلَّما كنت وخسّ هبط إلى الأسفل.

ثمَّ وجدت الحركة الفلكيَّة يقسّم هيولي هذا العالم على أربعة أُصول: وهي النَّار والهواء والماء والأرض، وانِّي اعتبرت هذه الأركان الأربعة في حركاتها ومعانيها، فوجدتها تتحرَّكُ بالطَّبع حركة هيام وموت لا حركة عقل وحياة، وانِّي وجدت الأشياء كائنة من هذه الأركان ذات حياة ونطق وعقل، فعجبت كيف تكون الأشياء، الميتة الجاهلة، أُصول الأشياء الحيَّة العاقلة، ثمَّ قلت لعلَّ هذه الأركان إذا امتزجت في أبدان الحيوان النَّاطق، أحدثت فيها حياة وعقلاً، لكن كيف يساغ[1] في العقل أن يمتزج ميِّت بميِّت، فيفتح بينهما حيّ ويمتزج جهل بجهل، فيكون من بينهما عقل، فدفعتني الضرورة «حينئذٍ»: أن أقول: هذا الشَّيء الحيّ الفاقد، هو شيء ليس من هيولي هذا العالم، أعني عالم الكون والفساد، بل هي أشياء طارئة غريبة واردة وصادرة، وأنَّه من الممتنع أن يكون الموت ينبوع الحياة وأن يكون الجهل ينبوع

(١) يساغ: ساغ الأمر: جاز فعله، فهو سائغ.

العقل، فينبغي يا نفس: أن تتيقني أنَّ هذا الشَّيء العاقل ليس هو من أركان هذا العالم، بل هو شيء آخر غيره فابحثي عنه لتعرفيه واستكشفي حاله لتخبريه، فبذلك تستعدين وتستكملين علمك وكمالك.

الفصل التَّاسع

الزهد أداة الخير:

يا نفس: انَّه من أصعب الأشياء وأشدّها امتناعاً، أن تعمل عمل الصّياغة بأداة الفلاحة، أو صنعة النجارة بأداة الخياطة، ولكلّ صنعة أداة ليس يستوفى عملها إلاَّ بها لا بغيرها، وإذا كان الإنسان عارفاً بجميع الصَّنائع ومستعملاً جميع أدواتها فقد ينبغي له إذا أراد يعمل الخياطة أن يرمي من يده أداة الفلاحة ويأخذ للخياطة أداتها الَّتي تصلح لها.

يا نفس: ينبغي لمن أراد أن يدرك العلم وعمل الخير، أن يترك من يده أداة الجهل والشر ويأخذ للعلم والخير أداتهما الَّتي تصلح لهما، وأداة والعلم والخير هو بغض الدُّنيا والزُّهد فيها، كما أنَّ أداة الجهل والشرّ هو حبّ الدُّنيا والرَّغبة فيها.

عالم الاختلاف أو الثبات:

يا نفس: انَّ حدّ العذاب، مشاهدة النَّفس ما اختلف وتغيَّر، وأنَّ حدّ النِّعم مشاهدة النَّفس ما اتَّفق وأدام وثبت دائماً، والبرهان على ذلك يا نفس: انَّ ما شاهدته في عالم الحسّ، فإنَّ أشدّ النَّاس جزعاً وخوفاً واستكانة من كان في النَّعيم، ثمَّ عدمه والنقل إلى الشتاء وذلك مقاساة

الاختلاف والتَّغير، وأنَّ الإنسان الَّذي قد نشأ في الشتاء واعتاده، فهو لا يعرف سواء، لا يكون جزعاً خائفاً كالَّذي كان في النَّعيم، فيأول إلى الشتاء، فتبيّن يا نفس: **انَّ العذاب هو الاختلاف والتَّغيُّر، وأنَّ النعيم هو الاتَّفاق والدولة، فإن أردت يا نفس**: **الرَّاحة من العذاب، فانتقلي من عالم الاختلاف والتَّغيير إلى عالم الدولة والبقاء.**

يا نفس: إن أردت أن تعلمي حال النُّفوس بعد مفارقتها الجسد، فانظري إلى حالها وهي ملازمة له، فإن كنت موفقة للإصابة، فإنَّها بعد مفارقتها الجسد لن يؤدِّيها عادتها بالإصابة إلاَّ إلى الإصابة، وحسن الإصابة والثَّواب، وإن كانت مقارنة للخطأ، فإنَّ عادتها بالخطأ، لن يؤدّها إلاَّ إلى الخطأ، والخطأ يثمر لها العقاب والعمى وسوء المنقلب.

الفصل العاشر

الادّعاء والحقيقة:

يا نفس: انِّي إذا سألت حالك فيطول تعجُّبي لها، تظهرين بالقول أنَّك زاهدة بالشَّقاء والأحزان، وأنت بالفعل راغبة فيها، وملازمة لها ومغالبة لأهلها عليها، وتظهرين بالقول انَّك راغبة في النعيم والسُّرور وأنت بالفعل زاهدة فيه ومنحرفة عنه ومستوحشة من الطَّريق إليه. وهذا يا نفس: فعل مختلف، والفعل المختلف لا يظهر إلاَّ عن فاعل ليس بفارد ولا متوحّد، بل فيه اشتراك وتركيب، لأنَّ الشَّيء الفارد لا يفعل إلاَّ فعلاً فارداً لا اختلاف فيه. والشَّيء المختلط لا يفعل إلاَّ فعلاً مختلطاً.

التطهير من الأدران:

فقد تبيّن يا نفس: الآن أنَّك لم تخلصي من غشّك ولم تتهذَّبي من سوء مكتسباتك الَّتي اكتسبتها في سالفات أدوارك، وأنَّه قد يبقى فيك جزء صدي هو السَّبب في اختلاف ما يظهر من فعلك، فإن كان هذا الصَّدأ[1] فيك بالعرض السَّريع الزوال، فبادريه بالجلاء والصقال قبل أن يستحكم في ذاتك، وإن كان هذا الصَّدأ فيك مستحكماً باقياً،

---

(١) صدأ: الحديد وسخه «مجمع البحرين».

فعودي إلى النَّار فانسبكي فيها لتخرجي منها صافية محضة، فإنَّ المرآة ذات الجرب الثَّابت لا ينجح فيها الجلاء ولا ينقلع صدأها إلاَّ بالنَّار والسّبك.

إدراك العقل والحواس:

يا نفس: تمثَّلي بالتَّوهم مفارقة الحواسّ الخمس ثمَّ انظري بعد ذلك، هل أنت مدركة أشياء هي غير ما كنت مشاهدة لها بالحواسّ فقدان رجوعك إلى وطنك ووقوعك آرائك؟ وذلك: أنَّ العقل إذا زاد إدراك ماهيَّته، أفرده ممَّا سواه، وأسرعه ممَّا قارنه، ثمَّ أدركه إدراكاً فارداً بذاته الفاردة، لأنَّه كما أنَّ الحسّ لا يدرك شيئاً فارداً، كذلك العقل لا يدرك شيئاً مركَّباً ولا يعلمه علماً حقيقيّاً، دون أن يفرد معانيه كلّها على الانفراد. وقد تبيَّن: أنَّ بالحسّ الَّذي هو المركَّب، تدرك المركَّبات، وانَّ بالعقل الَّذي هو الشَّيء الفارد البسيط تدرك الأشياء الفاردة والبسيطة. فتأمَّل.

الوحدة والتركيب:

يا نفس: كيف العقل كلَّما أجرى نحو المركَّب فارق الفردانيَّة، فارق أيضاً الإدراك الفردانيّ، الَّذي هو الإدراك الحقّ، واللَّذة الحقّ والعلم الحقّ، وكلَّما رجع متوجهاً نحو التوحيد وفارق التَّركيب والاشتراك، أدرك الأشياء الفاردة الأبديَّة وعُدم الأشياء المركَّبة. فقد تبيَّن من هذا الشَّرح **أنَّ حياة النَّفس في مفارقتها عالم الطَّبيعة، وإنَّ موتها اللّبوث فيها**.

الفصل الحادي عشر

النزول من العالم العلوي إلى الدُّنيا:

يا نفس: هذا عالم الطَّبيعة قد وردته واخترته، فهل اختبرت منه غير مبصرات موحشة مفزعة ملهيَّة، ومطعومات مؤلمة وروائح كاذبة منتنة وملموسات دنسة نجسة؟ وكلَّما وردت إلى هذه الأشياء ارتبطت بها إعجاباً وعشقاً وهوىً ونسيت معانيك الذَّاتيَّة الشَّريفة. فلمَّا عرفت خطأك وزللك. وهيهات هيهات يا نفس: ما الذَّنب إلاَّ ذنب من خبأه ولا الخطأ إلاَّ خطأ من أخطأه. فتلافي يا نفس خطأك وزللك، فإنَّك وقعت فيما تكرهين بهواك وشهوتك.

يا نفس: تيقَّني بأنَّ كلَّ مكروه أصابك وأنت في عالم الكون والفساد، فإنَّ أصله وسببه من قبلك ومن حيث خطأك وزللك، ومتى ورد عليك وارد من المكاره، فلم تعرفي سببه وأصله، فهو من خطأك القديم الأوَّل، الَّذي قد نسيته، لأنَّه من أتى إلى دار المصائب فدخلها، ثمَّ أصابته مصيبة، فإنَّ ذلك لخطئه إذا أتى إلى دار المصائب، وقد كان لا بدَّ له من دخولها. وأعظم من هذا كلّه أنَّه قد حذر منها فلم يحذر، وخوَّف منها فلم يخف، ونصح فلم يقبل النُّصح، واتَّبع هواه وشهوته.

يا نفس: قد كنت وأنت خارج السّجن[1] ترين الأشياء وتستمعين الأخبار، فلمَّا دخلت إلى السجن خفي ذلك كلّه عنك، وصرت مسجونة أسيرة تتشوقين إلى خبر تسمعينه، فما الَّذي حملك على دخول السجن؟ أليس هذا بخطائك؟.

يا نفس: قد كنت في عالم الوحدة مبصرة، غنيَّة، عالمة تبصرين العوالم كلّها منضَّدة بين يديك، وهي كلّها صافية، نيِّرة، مضيئة منشفّه، وفي أسفلها عالم الكون والفساد، أسود مظلم وهو يلوح كما يلوح الحجر الأسود في الماء الصَّافي، فقام لك أن تدخلينه لتخبريه وتعلمي علمه، فلمَّا عزمت على ذلك، خرجت من رتبة التَّوحيد، ونزلت إلى رتبة الإشراك، ومضيت مع الحركة، تطلبين ماهيته، فصرت إلى عالم الكون والفساد، فكان مثلك في ذلك: أعني خروجك عن عالم الوحدة ورغبتك وشهوتك في عالم المركَّبات، كالطَّائر القاصد إلى الفخّ المنصوب، ليسلب منه حبَّة، فسلبه الفخّ المنصوب مهجته، أو كالسَّمكة الَّتي في الماء الَّتي أرادت أن تبتلع طعم الصَّياد، فبلعها الصَّياد.

اللذَّة العقلية:

فأنت يا نفس: شاهدت بنورك وصفائك عالم الظّلمة ومازجتيه، فتغشَّىٰ نورك وأظلمك وأعماك وخفي عنك جميع معلوماتك، وما كنت تبصرينه وبقيت أسيرة رهينة، أفليس هذا كلّه بخطائك القديم؟ ولكنَّ متى آثرت الرُّجوع يا نفس: فاقصدي الأشياء الضَّالة، الَّتي كانت في الطَّبيعة، فانسلخي منها وتنقّي، فإنَّ نقاءك منها هو سبب خلاصك ورجوعك، **وانّي لأجمع لك هذه الأشياء كلّها في معنى واحد، ليسهل**

(١) وهو الدُّنيا فقد ورد: «الدُّنيا سجن المؤمن».

عليك علمها، فإنَّ هذه الأشياء كلّها يجمعها معنى واحد، وهو التَّلذُّذ الجسماني، فكلّ ما وجدته لذيذاً بالعقل، فخذيه واستعمليه.

كسر الشهوات:

يا نفس: انَّ النَّار تنطفيء ونار الشَّهوة لا تنطفيء، والأوجاع تعرض للبدن ثمَّ تزول ويُستراح منها، وأوجاع الشَّهوات لا يستريح منها المستريح، إلاَّ أن يداويها بالعقل. دواؤها موتها واقتناء الصَّبر عنها، لأنَّ حياة الشَّهوة مواصلتها وموتها مقاطعتها. وقد ينبغي يا نفس أن تعلمي: أنَّ شهوات الدُّنيا ليست كلّها في المآكل؛ بل فيها ما هو خارج عن المآكل، ولكن شهوة المآكل أضرَّها، وذلك لأنَّ الجسد لا يشتهي الأشربة لأَّ بعد أن يشبع، ولا يشتهي النكاح إلاَّ بعد أن شرب وكذلك الكسوة وجميع المقتنيات الحاملة للنَّفس على ركوب المهالك، المحوجة إليها إلى الضّعة والخساسة والدَّناءة.

يا نفس: انّي قد بصرتك، فلا تعمى وقد صوَّبتك فلا تخطئي، فتعظم حسرتك ويتضاعف عذابك باتباعك هواك وشهوتك.

التبصر بمعايب الدُّنيا:

يا نفس: انَّ الأعمى إذا وقع في جبّ كان معذوراً عند نفسه وعند غيره، وأمَّا البصير إذا أتى إلى جبّ وهو يبصره، فألقى نفسه فيه بهوله وشهوته، فأيّ عذر له عند نفسه وعند غيره؟.

يا نفس: ما أعظم حسرة الواقع في المكروه بعلم وبصيرة! وما أشدّ عذابه؟ ومعنى شدَّة عذابه علمه، ومعرفته وفطنته بما فعل بنفسه.

الفصل الثَّاني عشر

البلاء والصَّبر:

يا نفس: انَّه من غرس شجرة الصَّبر، أثمرت له الظَّفر ففاز بالغلبة، وانَّ أسعد السُّعداء من سما إلى شيء فظفر به، ومن غرس شجرة الفشل أثمرت له الحرمان، ومن أشقى الأشقياء من سما إلى شيء فحرمه.

يا نفس: فاقرني في جميع مطلوباتك كلّها بالصَّبر، فإنَّ الصَّبر خُلق النَّفس الأشرف، الَّذي تكتسب الخير وتدرك السَّعادة.

يا نفس: انَّ مرارة الصَّبر تثمر الحلاوة والرَّاحة، وحلاوة الفشل تثمر المرارة والتعب.

يا نفس: اقتني الصَّبر والثَّبات على عبادة إله واحد، فهو أهنأ لعيشك وأعظم لراحتك، واحذري أن يحذرك الملل والضَّجر، فتخرجي عن الوحدانيَّة، فتكثر آلهتك ومن كثرت آلهته، كثرت خدمته، واشتدَّ تعبه ونصبه، وتنوَّعت همومه وتشعَّبت نفسه، وهلكت في وجه التشعُّب

يا نفس: إنَّما الملل والضَّجر مقرون بالنُّفوس البهيميَّة، والصَّبر والثَّبات مقرون بالنُّفوس التَّامَّة الإنسانيَّة، فلا يحرّفنَّك الملل والضَّجر عن حدّ الصَّبر، فتروحي إلى اتِّخاذ الآلهة، ثمَّ تقتسمي بعبادتهم

وخدمتهم، فيطفيء نورك ويضعف قوَّتك ويزول سلطانك، وهذا هو موتك فاحذريه.

المعرفة في ذات الإنسان:

يا نفس: انَّه ينبغي أن تقفي على معرفة ما لها من المعاني والصّور ولا تتوهمي انَّ خارج ذلك ممَّا يجب أن تطلبين علمه، بل جميع معلوماتك كلّها هي معك وفيك، فلا تتوهمين بطلبك ما هو معك فإنَّ كثيراً من النَّاس يكون معه الشَّيء، فينسى أنَّه معه، فيطلبه خارجاً عن نفسه، ثمَّ يأتيه الذِّكر فيذكره ويجده مع نفسه لا خارجاً عنها.

الجسد آلة الروح:

يا نفس: انَّ آلة الصَّانع إذا خلقت أو كانت منقصة لانهدامها، أقلّ منفعة بهاديها، أقلّ جدوى له عليه، فتركها خير له من استعمالها، واستبدالها أصلح له من سحه عليها.

يا نفس: انَّه يجب على الصَّانع متى وجد الآلة المحمودة أن يعمل بها ويكدّ ويحرص على الانتساب في جميع الأموال ليبلغ به الغنى، وإذا استغنى عن العمل باع أداته بثمن بخس واستراح من الكدّ والتَّعب.

يا نفس: فتلطفي في اتَّخاذ الأداة المحمودة، فإذا وجدتها فاحسني سياستها بالعدل، واستأنفي الاكتساب والاقتناء، فإذا نلت الغنى وكثر مالك فبيعي أداتك بأوكس ثمن، وفوزي بما كسبت وانصرفي من محلّ الاكتساب.

الفصل الثالث عشر

اللذَّة:

يا نفس: ينبغي أن تعلمي وتتحققي: أنَّ حدّ اللَّذة هو ما يُملّ، ومتى طلبت النَّفس ـ وهي في عالم الطَّبيعة ـ لذَّة، فقد هممت إلى غير موجود وطلبت ما ليس بممكن، والدَّليل البيّن على هذا: أنَّ جميع ما تشافهه النَّفس في هذه الدُّنيا مملول، والمملول لا ينبغي أن يُسمَّىٰ لذَّة، إذ كان حدّ اللَّذة ما لا يملّ، أو ما تنظري يا نفس إلى أهل هذه الدُّنيا كيف يحثُّون في طلب اللَّذات ويتوهمون أنَّها موجودة في الدُّنيا، وهي ليست بموجودة. فتبيّن أنَّ النَّاس يطلبون في الدُّنيا ما ليس فيها.

يا نفس: تأمَّلي هوس النَّاس، كيف ترد إلى معاني الدُّنيا كلّها، فتشافهها مشافهة ذائق مختبر ثمَّ تصدّ عنها صدود مال منضجر، وليس أحد يوجد في هذه الدُّنيا راضياً بمنزلته فيها. مالاً عنها ضجراً منها.

يا نفس: كيف توجد في الدُّنيا لذَّة! وكلّ رتبة تعف النَّفس عليها في الدُّنيا تحتاج إلى الصَّبر، والصَّبر مرّ المذاق، وكلّ شيء حلو إذا خالطته المرارة فهو مرّ، ومتى نفرت النَّفس من الصَّبر والتأبّد به ثمَّ ذهبت صوب المرض لها حصلت على التوهان، تذوق وتتركه، وتواصل هذا ثمَّ تقطعه، ترغب في هذا ثمَّ ترفضه، وهذا معنى قبيح وفعل خسيس وخلق دنيء، ومتى تأيَّدت النَّفس بالصَّبر على أيّ رتبة كانت من رتب الدُّنيا، فقد

اقتربت لها مرارة الصَّبر، فقد حصل من هذا الشَّرح أنَّه: إمَّا أن يكون الإنسان يأتها ذراقاً، فيحصل على رتبة الخساسة والدناءة، وإمَّا أن يكون برتبة صالحة من رتب الدُّنيا مع الصَّبر عليها، فيحصل على مقاساة المرارة مدَّة مقامه في عالم الطَّبيعة، ولأكل المرارة مع اكتساب الشَّرف والعزّ صرف الحلاوة، مع اكتساب الخساسة والدَّناءة.

الجسد أداة الروح:

يا نفس: انَّ غرض الحقّ وشفاء العقل أن تكون الأشياء على ترتيبها الطَّبيعي ثابتة، فإذا كانت كذلك فما أحسنها وأكملها وأعدلها، وذلك كالصَّانع الَّذي ينبغي أن يكون هو الَّذي يستعمل الأداة لا الأداة تكون مستعملة له، كالفارس الَّذي ينبغي أن يكون هو الَّذي يدبّر الفرس ويجرّ به ويروضه، لا أن تكون الفرس تدبّر الفارس، وكالسُّلطان الَّذي من الواجب أن يكون هو المدبِّر للرَّعيَّة والسَّائس لها، لا أن تكون الرَّعيَّة تدبّره وتسوسه، فإذا جرت هذه الأشياء على كيانها الطَّبيعي، ظهر الحقّ والعدل الحسنان الجميلان، وإذا انعكست بالضدّ، ظهر الشرّ والجور القبيحان.

يا نفس: إن كان الجسد بالنَّفس يحيى، وبها يبصر ويسمع ويشمّ ويذوق ويمسّ، فقد وجب ضرورة الإقرار بأنَّ الجسد آلة النَّفس، ومن القبيح أن تكون الآلة مدبرة الصَّانع وتستعمله وتستفيد منه، فإنَّ الصَّانع المدبِّر الجاهل إذا اتَّخذ الآلة اشتغل بترتيبها وترذيفها وترفيهها عن استعمالها والاكتساب بها، ويحصل على عبارته لها «فحينئذٍ» ينقلب الحقّ باطلاً، ويصير العدل جوراً، والحسن الجميل قبيحاً، كما يصير الحيّ العاقل البصير السَّميع الشَّريف عبد الميِّت الأعمى والأبكم الجاهل الخسيس.

الامتحان:

يا نفس: انَّ السيِّئات متى خلت، لا يخلق المخلوق البتَّة، وإنَّما هي محنة يمتحن بها النَّاس، فإذا امتحن بها العاقل الرَّشيد، تبين من نفسه الضَّعيف عن القيام بتدبيرها، فخضع وذلَّ ورغب إلى سايس الكلّ، الفائض بالخير كلّه على الطَّالبين إليه، فاكتسب نفسه بإضافتها إلى الخير خيراً فيهتدي إلى حسن السيرة، فتكون هذه النَّفس نشرت من ينبوع الخير والعدل، ثمَّ يفيض بما فيها على من يشمله سياستها، فبذلك يكون ظهور العدل والخير والسَّعادة للسَّائس والمسوس.

فأمَّا الجاهل فإنَّه إذا امتحن بالسياسة سرّه ذلك وأبهجه، ورأى أن تفوقه وطبعه ما تقوم بها وبإضعافها، «فحينئذٍ» يتهاون تدبيرها وينصرف بجميع قوَّته إلى التَّلذُّذ والتَّنعُّم المثمرين بالجهل والعمى والزَّلل والخطأ، فتكون تلك النَّفس تشرب من ينبوع الشرّ والجور، ثمَّ يفيض لها من يحبب سياستها، فيكون بذلك ظهور الجور والشرّ وهلك السَّائس والمسوس.

الدُّنيا نوم وحُلم:

يا نفس: إذا دخلت عالم الأحلام، فينبغي أن تتمثَّلي أنَّ النَّائم الحالم فيه: إنَّما هو نائم، نام نوماً ثانياً وحالم حلماً ثانياً، فإذا استيقظ، فإنَّما هو نائم انتبه من نومه العرضي ورجع إلى نومه الطَّبيعي، كرجل أبيض اللَّون بالطَّبع، فعرض له الخجل فاحمرَّ لونه، ثمَّ رجع إلى لونه الطَّبيعي بسرعة، **فالإنسان في الدُّنيا نائم بالعرض، ثمَّ يعرض له النَّوم بالعرض غير الثَّابت، فكأنَّه إنَّما اكتسى نوماً على نوم، فإذا انتبه فإنَّما انتبه من نوم إلى نوم**.

يا نفس: تيقَّني قولي هذا واعلمي أنَّك إنَّما أنت في الدُّنيا راقدة، وأنَّ

جميع ما أنت مشاهدة له فيها، إنَّما هو أحلام، كما أنَّه يعرض لك النَّوم الَّذي هو بالعرض السَّريع الزَّوال فتنامي وتحلمي، وإذا زال ذلك العرض انسلخت من جميع الأشياء الَّتي كنت مشاهدة لها انسلاخاً كليّاً ورجعت إلى مشاهدة الأشياء الطَّبيعيَّة الَّتي هي بالعرض الثَّابت الَّتي أنت بها أشدّ تحقّقاً منك بتلك الأشياء الَّتي هي بالعرض السَّريع الزَّوال.

و«كذلك» إذا استيقظت من نومك الطَّبيعي، الَّذي هو الدُّنيا ورجعت إلى اليقظة الحقيقيَّة، الَّتي هي عالم العقل، فإنَّك إنَّما ترجعين إلى معان وأشياء أنت بها أشدّ تحقّقاً منك بما كنت مشاهدة له في رقدتك في عالم الطَّبيعة، فكما أنَّه يا نفس: **أحلام الدُّنيا ليست بحقّ بالإضافة إلى أسباب الدُّنيا، «فكذلك» أسباب الدُّنيا ليست بشيء حقّ بالإضافة إلى عالم العقل، الَّذي هو الحقّ والمحلّ الحقّ.**

ارتباط النَّفس بالجسد:

يا نفس: تأمَّلي هذا المعنى، فأمَّا أن تضحكي منه تعجّباً أو تعبري منه تخوّفاً، إنَّ طائرين رُبطا معاً في رباط واحد ثمَّ خليا، لقد عظم عذابهما وبعدت الرَّاحة عنهما، وأنَّ فرحة كلّ واحد منهما وراحته انفصاله عن الآخر، فإذا كان طائرين هما من نوع واحد وشكل واحد ارتبطا فاعقبتهما المرابطة على تشاكلهما أنواع العذاب، فكيف إذا ارتبطت أشياء مختلفة في الشَّكل: كحمل رُبط مع ذئب أو ثور رُبط مع أسد، أو حيّ مع ميِّت.

يا نفس: هل يكون أشقى من حيّ، الحيّ المرابط لميِّت؟ أو هل يكون أشقى من عالم رُبط مع جاهل؟

يا نفس: فإذا كانت راحة الحيّ أن ينحلّ من مرابطة الميِّت، وراحة

العالم أن ينحل من مرابطة الجاهل، فإن كنت يا نفس: تقرّين بحقيقة هذه المعاني، فقد تجلَّت الغشاوة عن بصرك والأخلاق المحرجة لك من الظّلم إلى الأنوار.

أحوال النَّفس:

يا نفس: تأمَّلي جوهرك واعتبريه واعلمي: أنَّ جوهر النَّفس جوهر عالي الشَّرف لمناسبتها جميع العوالم وحلولها بكلّ محل.

وإنَّها تنسب في بعض الأحايين إلى عالم الطَّبيعة، فتكون إنسانيَّة مشاهدة للمحسوسات مشافهة للمآكل والمشارب وجميع معاني الطَّبيعة.

وتارة تنسب إلى عالمها الأخصّ بها، فتكون نفساً، حيَّة، حاسة، محسّة، مستعملة، محرِّكة، مبهجة ذات اسبتحاث وتأمُل واختبار وإرادة. فهذه المعاني هي معاني النَّفس، وهي الحياة المنبثة في جميع ما احتوى عليه ملكوت النَّفس.

وتارة تنسب إلى عالم العقل فتكون منتزعة الصّور من الهيولي، مدركة للبسائط الأوَّل، مميَّزة متصوّرة، عاقلة لجميع المعاني الفاردة البسيطة.

وتارة تنسب إلى العالم الإلٰهي، فتكون نهمة للخير والجود، آمرة بهما خلوة من الجور والشر، ناهية عنهما، حكيمة الأفعال، متقنة، ومن أوضح الدَّلائل على أنَّ النَّفس تناسب العلة الأولى، ما هو موجود في خلقها: من أنَّها تسمو إلى الإحاطة بجميع الأشياء، الَّتي يحتوي عليها الملكوت الأعظم، لن تلقى مستقرّة، راضية، تامَّة الرِّضا، دون أنْ تبلغ العالم العلوي العقلي بجميع ما فيه، «فحينئذٍ» تلقى النَّفس غير طالبة شيئاً، تارة مستقرّة تامَّة الرِّضا، ومن استعمل الاستقراء في ذاته، توجَّهت له حقيقة ذلك.

شكوى النَّفس:

يا نفس: هل يكون أشقى منك وأعظم منك حسرة؟ وقد أصبحت في محلة الأعاجم وحيدة فريدة، فتبثي لهم الشَّكوى بلفظك، فلا يفهمون، ويبثّون إليك لفظهم فلا تفهميه، ومتى قارن الشَّيء خلافه فهو مجهود مرهوق مشتغل عن ذاته بذات غيره.

يا نفس: ما أعظم حسراتك أن تنطقي فلا تجدي سابقاً، وتبثّي الشَّكوى فلا تجدي راحماً، فليت شعري ثمَّ ليت شعري، ما عند من أصبح غريباً عن وطنه نائياً عن معدنه، بعيداً عن أصله ونبعته، قد أوقعه هواه وشارف على استثمار زلله وخطأه، محمولاً على مركب الغرور والسَّهو، مقروناً بمذلَّة اللَّذة واللَّهو، ساهياً في طلبه، موقوفاً على عطيَّته، فليعلم الرَّاكب على لُجَّة البحر في المراكب المزخرفة عند تحلّلها، أنَّه إنَّما صاحب من خذله واستسلم إلى من خدعه وغرصه. فيا لها من حسرة! ما أعظمها بمغرور خبيث، خائن وقرين خاذل.

يا نفس: انَّه من غرس طيِّباً أكل طيِّباً، ومن غرس خبيثاً، أكل خبيثاً، وأنَّ ثمرة العمل الصَّالح كأصلها. وثمرة العمل الرَّديء كأصلها، وقليل من العلم مع العمل به أنفع من كثرة العلم مع قلَّة العمل به. والله وليّ التَّوفيق ومنه هداية الطَّريق.

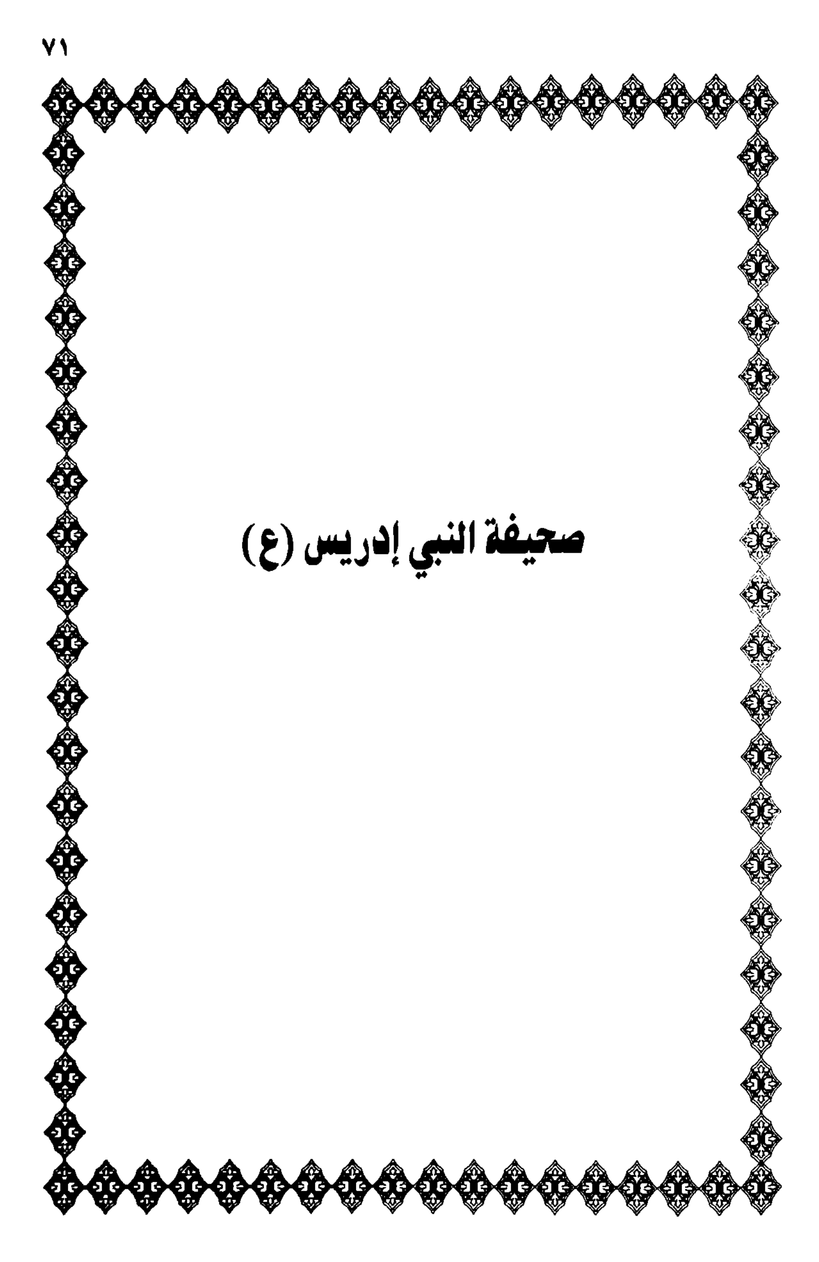
اللَّهمَّ يا مالك السَّرائر ويا مرشد البصائر ويامن دلَّت عليه الضَّمائر إن كان جائزاً في حكمتك أن ترشد وتصلح شأننا، وأن تحسن الاختيار لنا، وأن تحيي بذكرنا ما رثَّ[1] من ذكر آبائنا ودرس من أحوالهم، وأن تجعل

---

(١) الرثّ: الشيء البالي وقد رثَّ الحبل وغيره برث رثاثة.

سعينا في هذه الحياة الفانية لنا، لا علينا فافعل بنا ذلك ولا تجعل ما أفنينا من العمر في طلب معرفتك باطلاً.

اللَّهمَّ ارحم نفسنا المتعلّقة بحبلك وأحسن عونها على المخلص إليك. والحمد لله أوَّلاً وآخراً.



صحيفة النبي إدريس (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

جاء في بحار الأنوار للشيخ محمد باقر المجلسي رحمه الله: «الحمد لله على نعمته، وصلاته على محمَّد وعترته، قال أحمد بن حسين بن محمَّد المعروف بابن متّويه: وجدت هذه الصحف بالسّورية ممَّا أُنزلت على إدريس النبيّ أُخنوخ صلَّى الله على محمَّد وعليه وكانت ممزَّقة مندرسة، فتحريَّت الأجر في نقلها إلى العربيَّة بعد أن استقصيت في وضع كلٍّ لفظة من العربيَّة موضع معناها من السّوريَّة، وتجنَّبت الزيادة والنقصان، ولم أُغيِّر معنى لتحسين لفظ أو تقدير سجع، بل توخَّيت إيراده كهيئته من غير نقص ولا زيادة، وعلى الله التوكل وبه الاستعانة، وله الحول والقوَّة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الصحيفة الأولى وهي صحيفة «الحمد»

الحمد لله الَّذي ابتدأ خلقه بنعمته، وأسبغ عليهم ظلال رحمته، ثمَّ فرض عليهم شكر ما أدَّىٰ إليهم، ووفَّقهم بمنّه لأداء ما فرض عليهم، ونهج لهم من سبيل هدايته ما يستوجبون به واسع مغفرته، فبتوفيقه قام القائمون بطاعته، وبعصمته امتنع المؤمنون من معصيته، وبنعمته أدَّى الشاكرون حقَّ نعمته، وبرحمته وصل المسلمون إلى رحمته.

فسبحان من لا يُستجار منه إلاَّ به، ولا يُهرب منه إلاَّ إليه، وتبارك الَّذي خلق الحيوان من ماء مهين، وجعلهم في قرار مكين، ثمَّ صيَّرهم

متبائنين في الخلق والأخلاق، وقدَّر لهم ما لا مغيّر له من الآجال والأرزاق، له سبَّحت السَّماوات العُلى، والأرضون السفلى، وما بينهما وما تحت الثرى، بألسن فُصح وعجم، وآثار ناطقة وبكم، تلوح للعارفين مواقع تسبيحها، ولا يخفى على المؤمنين سواطع تقديسها، فله في كلِّ نظرة نعم لا تُحدَّ، وفي كلِّ طرفة آلاء لا تعدَّ، ضلَّت الأفهام في جبروته، وتحيَّرت الأوهام في ملكوته، فلا وصول إليه إلاَّ به، ولا ملجأ منه إلاَّ إليه، ذلكم الله ربُّ العالمين.

الصحيفة الثانية صحيفة «الخلق»

فاز يا أُخنوخ من عرفني، وهلك من أنكرني، عجباً لمن ضلَّ عنِّي وليس يخلو في شيء من الأوقات منِّي، كيف يخلو وأنا أقرب إليه من كلِّ قريب، وأدنى إليه من حبل الوريد، ألست أيُّها الإنسان العظيم عند نفسه في بنيانه، القويّ لدى همّته في أركانه، مخلوقاً من النطفة المذرة، ومخرجاً من الأماكن القذرة، تنحطُّ من أصلاب الأباء كالنُّخاعة إلى أرحام النِّساء، ثمَّ يأتيك أمري فتصير علقة، لو رأتك العيون لاستقذرتك، ولو تأمَّلتك النُّفوس لعافتك، ثمَّ تصير بقدرتي مضغة، لا حسنةً في المنظر، ولا نافعة في المخبر، ثمَّ أبعث إليك أمراً من أمري، فتخلق عضواً عضواً وتقدَّر مفصلاً مفصلاً، من عظام مغشيَّة، وعروق ملتوية، وأعصاب متناسبة، ورباطات ماسكة، ثمَّ يكسوك لحماً ويلبسك جلداً تجامع من أشياء متبائنة، وتخلق من أصناف مختلفة.

فتصير بقدرتي خلقاً سوياً لا روح فيك تحرّكك، ولا قوّة لك تقلّك، أعضاؤك صوب لا مرية وجثت بلا مرزبَّة فأنفخ فيك الرُّوح، وأهب لك

الحياة، فتصير بأذني إنساناً، لا تملك نفعاً ولا ضرّاً، ولا تفعل خيراً ولا شرّاً، مكانك من أُمّك تحت السُّرَّة، كأنَّك مصرور في صرَّة إلى أن يلحقك ما سبق منِّي من القضاء، فتصير من هناك إلى وسع القضاء، فتلقى ما قدَّرك من السَّعادة أو الشقاء، إلى أجل من البقاء متعقّب لا شكَّ بالفناء، أأنت خلقت نفسك، وسوَّيت جسمك، ونفخت روحك؟

إن كنت فعلت ذلك، وأنت النطفة المهينة، والعلقة المستضعفة، والجنين المصرور في صرَّة، فأنت الآن في كمال أعضائك وطراءة مائك وتمام مفاصلك، وريعان شبابك، أقوى وأقدر، فاخلق لنفسك عضواً آخر، واستجلب قوَّة إلى قوَّتك، وإن كنت أنت دفعت عن نفسك في تلك الأحوال طارقات الأوجاع والأعلال، فادفع عن نفسك الآن أسقامك، ونزِّه عن بدنك آلامك، وإن كنت أنت نفخت الرُّوح في بدنك وجلبت الحياة الَّتي تمسكك، فادفع الموت إذا حلَّ بك، وابق يوماً واحداً عند حضور أجلك.

فإن لم تقدر أيُّها الإنسان على شيء من ذلك، وعجزت عنه كلّه، فاعلم أنَّك حقّاً مخلوق، وأنِّي أنا الخالق، وأنَّك أنت العاجز، وأنِّي أنا القويُّ القادر، فاعرفني حينئذٍ واعبدني حقَّ عبادتي، واشكر لي نعمتي أزدك منها، واستعذ بي من سخطتي أُعذك منها، فإنِّي أنا الله الَّذي لا أعبأ بما أخلق، ولا أتعب ولا أنصب فيما أرزق، ولا ألغب، إنَّما أمري إذا أردت شيئاً أن أقول له كن فيكون.

الصحيفة الثالثة صحيفة «الرِّزق»

يا أيُّها الإنسان انظر وتدبَّر، واعقل وتفكَّر، هل لك رازق سواي يرزقك؟ أو منعم غيري ينعم عليك؟ ألم أُخرجك من ضيق مكانك في

الرحم إلى أنواع من النعم؟ أخرجتك من الضيق إلى السعة، ومن التعب إلى الدَّعة، ومن الظلمة إلى النُّور، ثمَّ عرفت ضعفك عمَّا يقيمك، وعجزك عمَّا يفوتك، فأدررت لك من صدر أُمّك عينين منهما طعامك وشرابك، وفيهما غذاؤك ونماؤك، ثمَّ عطفت بقلبها عليك، وصرفت بودِّها إليك، كي لا تتبرَّم بك مع إيذائك لها، ولا تطرحك مع إضجارك إيَّاها، ولا تقزُّزك مع كثرة عاهاتك، ولا تستقذرك مع توالي آفاتك وقاذوراتك، تجوع لتشبعك، وتظمأ لترويك، وتسهر لترقدك، وتنصب لتريحك، وتتعب لترقدك، وتتقذَّر لتنظفك، لولا ما ألقيتُ عليها من المحبَّة لك لألقتك في أوَّل أذى يلحقها منك، فضلاً عن أن تؤثرك في كلِّ حال، ولا تخلّيك لها من بال، ولو وكلتك إلى وكدك، وجعلت قوَّتك وقوامك من جهدك، لمُتَّ سريعاً، وفتَّ ضايعاً.

هذه عادتي في الإحسان إليك، والرَّحمة لك، إلى أن تبلغ أشدَّك، وبعد ذلك إلى منتهى أجلك، أُهيّيء لك في كلِّ وقت من عمرك ما فيه صلاح أمرك من زيادة في خلقك، وتيسير لرزقك، أُقدِّر مدَّة حياتك فقد كفايتك ما لا تتجاوزه وإن أكثرت من التعب، ولا يفوتك وإن قصرت في الطلب، فإن ظننت أنَّك الجالب لرزقك، فما لك تروم أن تزيد فيه ولا تقدر؟ أم ما لك تتعب في طلب الشيء فلست تناله؟ ويأتيك غيره عفواً ممَّا لا تتفكَّر فيه، ولا تتغنَّى له، أم ما لك ترى من هو أشدُّ منك عقلاً وأكثر طلباً محروماً مجذوذاً، ومن هو أضعف منك عقلاً وأقلُّ طلباً محروزاً مجدوداً، أتراك أنت الَّذي هيَّأت لمشربك ومطعمك سقاءين[1] في صدر أُمّك، أم تراك سلَّطت على نفسك وقت

(١) السقاء: جلد السخلة، إذا أجذع يكون للماء واللبن.

السَّلامة الداء، أو جلبت لها وقت السقم الشفاء، ألا تنظر إلى الطير الَّتي تغدو خماصاً، وتروح بطاناً[١]؟ ألها زرع تزرعه أو مال تجمعه، أو كسب تسعى فيه، أو احتيال تتوسَّم[٢] بتعاطيه.

اعلم أيُّها الغافل أنَّ ذلك كلّه بتقديري، لا أُنادُّ ولا أُضادُّ في تدبيري، ولا ينقص ولا يزاد من تقديري، ذلك أنِّي أنا الله الرَّحيم الحكيم.

الصحيفة الرابعة صحيفة «المعرفة»

من عرف الخلق عرف الخالق، ومن عرف الرِّزق عرف الرازق، ومن عرف نفسه عرف ربّه، ومن خلق إيمانه أمن دينه، كيف تخفى معرفة الله؟ والدَّلائل واضحة، والبراهين على وحدانيَّته لائحة، عجباً لمن غني عن الله؟ وفي موضع كلِّ قدم، ومطرف عين، وملمس يدٍ، دلالةٌ ساطعة، وحجَّة صادعة على أنَّه تبارك واحد لا يُشارك، وجبَّار لا يُقاوم، وعالم لا يجهل، وعزيز لا يذلّ، وقادر لطيف، وصانع حكيم في صنعته، كان أبداً وحده، ويبقى من بعد وحده، هو الباقي على الحقيقة، وبقاؤه غير مجاز، وهو الغنيّ، وغنى غيره صائر إلى فقرٍ وإعواز.

وهو الَّذي جرت الأفلاك الدائرة، والنُّجوم السَّائرة بأمره، واستقلَّت السَّماوات واستقرَّت الأرضون بعظمته، وخضعت الأصوات والأعناق لملكوته وسجدت الأظلال والأشباح لجبروته، بإذنه أنارت الشَّمس والقمر، ونزل الغيث والمطر، وأنبتت الأرض الميتة نباتاً حيّاً،

---

(١) الخماص جمع الخميص يعني خميص البطن من الجوع، والبطان جمع البطين يعني من كثرة الأكل، فسيأتي.
(٢) توسم: تطلب وتفرس.

وأخرجت العيدان اليابسة ورقاً رطباً، ونبعت الصخور الصلاد[1] ماء نميراً، وأورقت الأشجار الخضرة ناراً ضوءاً منيراً.

طوبى لمن آمن به، وصدَّق برسله وكتبه، ووقف عند طاعته، وانتهى عن معصيته، وبؤسى لمن جحد آلاءه، وكفَّر نعماءه، وحادَّ أولياءه، وعاضد أعداءه إنَّ أولئك الأقلّون الأذلّون[2] عليهم في الدُّنيا سيماء، ولهم في الآخرة مهاد النَّار، دولتهم إملاء واستدراج، وعاقبة غنائهم احتياج، وموئل سرورهم غمٌّ وانزعاج، ومصيرهم في الآخرة إلى جهنَّم خالدين بلا إخراج، فأمَّا المؤمنون الصدِّيقون، فلهم العزَّة بالله، والاعتزاء إليه، والقوَّة بنصره، والتوكُّل عليه ولهم العاقبة في الدُّنيا، والفلج على أعدائهم بإظفار.

فوعزَّتي لأُصيّرنَّ الأرض ولا يعبد عليها سواي، ولا يدان لإله غيري ولأجعلنَّ من نصرني منصوراً، ومن كفرني ذليلاً مقهوراً، وليلحقنَّ الجاحدين لي أعظم الندامة في هذه الدُّنيا، وفي يوم القيامة، ولأُخرجنَّ من ذرِّيَّة آدم من ينسخ الأديان ويكسر الأوثان، فأُنير برهانه، وأُؤيّد سلطانه، وأُوطّيه الأعقاب وأُملّكه الرِّقاب، فيدين النَّاس له، طوعاً وكرهاً، وتصديقاً وقسراً، هذه عادتي فيمن عرفني وعبدني، ولهم في الآخرة دار الخلود في نعيم لا يبيد، وسرور لا يشوبه غمٌّ، وحبور لا يختلط به همٌّ، وحياة لا تتعقَّبها وفاة، ونعمة لا يعتورها نقمة، فسبحاني سبحاني وطوبى لمن سبَّحني، وقدُّوس أنا وطوبى لمن قدَّسني، جلَّت عظمتي فلا تحدُّ، وكثرت نعمتي فلا تعدُّ، وأنا القويُّ العزيز.

---

(١) يعني الصلب الأملس.

(٢) الأرذلون خ ل.

الصحيفة الخامسة صحيفة «العظمة»

يا أُخنوخ أعجبت لمن رأيت من الملائكة، واستبدعت الصّور، واستهلّت الخلق، واستكثرت العدد، وما رأيت منهم كالقطرة الواحدة من ماء البحار، والورقة الواحدة من ورق الأشجار، أتتعجّب ممّا رأيت من عظمة الله، فلما غاب عنك أكبر، وتستبدع صنعة الله فلما لم تبصره عنك أهول وأكبر؟ ما يحيط خطُّ كلِّ بنان، ولا يحوى نطق كلّ لسان، مذ ابتدأ الله خلقه إلى انتهاء العالم أقلّ جزء من بدائع فطرته، وأدنى شيء من عجائب صنعته، إنَّ لله ملائكة لو نشر الواحد جناحه لملأ الآفاق، وسدّ الآماق(١) وإنَّ له لملكاً نصفه من ثلج جمد، ونصفه من لهب متَّقد، لا حاجز بينهما، فلا النَّار تذيب الجمد، ولا الثلج تطفىء اللهب المتَّقد، لهذا الملك ثلاثون ألف رأس في كلِّ رأس ثلاثون ألف وجه في كلِّ وجه ثلاثون ألف فم في كلِّ فم ثلاثون ألف لسان، يخرج من كلِّ لسان ثلاثون ألف لغة، تقدِّس الله بتقديساته، وتسبِّحه بتسبيحاته، وتعظِّمه بعظماته، وتذكر لطائف فطراته، وكم في ملكه تعالى جدَّه من أمثاله، ومن أعظم منه.

يجتهدون في التسبيح فيقصرون، ويدأبون في التقديس فيحسرون، وهذا ما خلا شيء من آياتي وجلالي، إنَّ في البعوضة الَّتي تستحقرها، والذَّرَّة الَّتي تستصغرها من العظمة لمن تدبّرها ما في أعظم العالمين، ومن اللَّطائف لمن تفكّر فيها ما في الخلائق أجمعين، ما يخلو صغير ولا كبير من برهان عليَّ وآية فيَّ، عظمت عن أن أُوصف وكبرت عن أن أُكيَّف، حارت الألباب في عظمتي، وكلَّت الألسن عن تقدير صفتي، ذلك أنِّي أنا الله الَّذي ليس كمثلي شيء وأنا العليُّ العظيم.

---

(١) المؤق من الأرض: النواحي الغامضة من أطرافها والجمع آماق.

الصحيفة السادسة صحيفة «القربة»

سألت يا أُخنوخ عمَّا يقرِّبك من الله، ذلك أن تؤمن بربّك من كلِّ قلبك وتبوء بذنبك، وبعد ذلك تلزم رحمة الخلق، وحسن الخلق، وإيثار الصدق وأداء الحقّ، والجود مع الرِّضا بما يأتيك من الرِّزق، وإكثار التسبيح بالعشايا والأسحار، وأطراف اللَّيل والنَّهار، ومجانبة الأوزار، والتوبة من جميع الأصار، وإقامة الصلوات وإيتاء الزكوات، والرفق بالأيامى والأيتام، والإحسان إلى جميع الخلائق والأنام، وأن تجأر إلى الله بتذلّل، وخشوع وتضرُّع وتقول باللِّسان الناطق عن الإيمان الصَّادق:

اللَّهمَّ أنت الرَّبُّ الكريم الجليل العظيم، علوت ودنوت، ونأيت وقربت، لم يخل منك مكان، ولم يقاومك سلطان، جللت عن التحديد، وكبرت عن المثل والنديد، بك النجاة منك، وإليك المهرب عنك، إيَّاك نسأل إلٰهنا أن تكفنا برحمتك، وتشملنا برأفتك، وتجعل أموالنا في ذوي السَّماحة والفضل، وسلطاناً في ذوي الرشاد والعدل، ولا تحوجنا إلاَّ إليك، فقد اتَّكلنا اللَّهمَّ عليك، إليك نبرء من الحول والاحتيال، ونوجّه عنان الرغبة والسؤال، فأجبنا اللَّهمَّ إلى ما ندعو، وحقّق في فضلك وكرمك ما نأمل ونرجو، وآمنَّا من موبقات أعمالنا ومحبطات أفعالنا برحمتك يا إلٰه العالمين.

يا أُخنوخ ما أعظم ما يدَّخر فاعل ذلك من الثواب، وما أثقل هذه الكلمات في الميزان يوم الحساب، فأنبىء النَّاس بمأمول رحمتي الواسعة، ومخشيّ سخطتي الصَّاقعة[1] وذكّرهم آلائي، واحضضهم

---

(١) الصاعقة خ ل، وكلاهما بمعنى.

على دعائي، فحقٌّ عليَّ إجابة الداعين ونصر المؤمنين، وأنا ذو الطول العظيم.

الصحيفة السابعة صحيفة «الجبابرة»

يا أُخنوخ كم من جبروت جبَّار قصصتها، وكم من قويّ ظنَّ إلاَّ مغالب له فتجبَّر وعتا، وتمرَّد وطغا، أريته قدرتي وأذقته وبال سطوتي، وأوردته حياض المنيَّة، فشرب كأسها، وذاق بأسها، وحططته من عالي حصونه، ووثيق قلاعه وأخرجته من عامرٍ دوره ومونق رباعه إلى القبور الملحودة، والحفرة المخدودة فاضطجع فيها وحيداً، وسال منه فيها صديداً، وأطعم حريشات[١] ودوداً، وصار من ماله وجموعه بعيداً، وفي ملاقاة المحاسبة فريداً، لم ينفعه ما عدد، ولم يخلده ما خلّد، ولم يتبعه إلاَّ تبعات الحساب، ولم يصحبه من أحوال دنياه إلاَّ موجبات الثواب أوالعذاب، ثمَّ أورثت ما حاز من الباطل، وجميع وصدَّ عن الحقّ من لم يشكره على ما صنع، ولا دعا له ولا نفع، شقي ذاك بجمعه، وفاز هذا الوارث بنفعه قد رأى الغابر عاقبة من مضى فلا يرتدع، وأبصر الباقي مصير من انقضى فلا ينزجر ولا ينقمع، أمالهم أعين فتبصر، أو قلوب فتتفكَّر، أو عقول فتدبَّر؟ كذَّبوا بي فصدقتهم سخطتي، وناموا عن حقِّي فنبَّهتهم عقوبتي، أدَّ إليهم رسالتي، وعرِّفهم نصيحتي، وأكّد عليهم حجَّتي، وانهج لهم حدَّ محجَّتي، ثمَّ كلهم إلى محاسبتي فوعزَّتي لا يتعدَّاني ظالم، ولا يخفق عندي مظلوم، وسأقتصُّ للكلِّ من الكلِّ وأنا الحكيم العدل.

---

(١) الحريش: دويبة قدر الإصبع بأرجل كثيرة وهي المسماة: دخالة الأذن، المعروفة عند العوام بأم أربع وأربعين.

الصحيفة الثامنة صحيفة «الحول»

ذلَّ من ادَّعى الحول والقوَّة من دوني، وزعم أنَّه يقدر على ما يريد، لو كان دعواه حقّاً وقوله صدقاً، لتساوت الأقدام، وتعادل في جميع الأُمور، الأنام فإنَّ الكلَّ يطلب من الخير الغاية، ويروم من السعادة النهاية، فلو كانت تصاريف الأُمور، ومواقع المقدور، على ما يرومون، وموكّلاً من قواهم واستطاعاتهم إلى ما يقدرون، والجماعة تطلب نهاية الخير، وتتجنَّب أدنى مواقع الضير، لما رؤي فقير، ولا مسكين ضرير، ولما احتاج أحدٌ إلى أحدٍ، ولا افتقرت يدٌ إلى يد، وأنت الآن ترى السيِّد والمسود، والمجذوذ والمجدود، والغنيّ الخجل والفقر المدقع.

ذلك أيُّها الإنسان دليل على أنَّ الأمر لغيرك، وموكول إلى سواك، وأنَّك مقهور مدبّر، ولما يراد منك مقدَّر وميسَّر، لأنَّك تريد الأمر اليسير، بالتعب الكثير، فيمنع عليك ويتأبّى، وتغفل عن الأمر الكبير ويسهل لك من غير تعب اعترف أيُّها العبد بالعجز يصنع لك ولا تدع الحول والقوَّة فتهلك، واعلم أنَّك الضعيف وأنِّي القويُّ.

الصحيفة التاسعة صحيفة «الانتقال»

إلٰهي أنت تعرف حاجتي، وتعلم فاقتي، وأنت عالم الغيوب، وكاشف الكروب، تعلم الكائنات قبل وقوعها، وتحيط بالأشياء قبل وقوعها، وأنت غنيّ عن العالمين وهم فقراء إليك، أمرتني فعصيت، ونهيتني فأتيت، وبصَّرتني فعميت وأسعدتني فشقيت، تعرف ذنوبي فلا ستر دونك، فلا تفضحني بها في الدُّنيا ولا في الآخرة، ولا في

المحشر وفي عرصة الساهرة، اللَّهمَّ فكما سترتها عليَّ فاغفر لي وكما لم تظهرها عليَّ فحطّها عنِّي، وقني مناقشة الحساب، ومكابدة العذاب، ويسِّر الخير لي في عاجلي وآجلي، ومحياي ومماتي، واقض حاجاتي الَّتي أنت عالم بها منِّي، واصرف شرَّ جميع ما خلقت عنِّي، ووفّقني من منافع الدُّنيا والآخرة لما تعلم فيه صلاحي، وتعرف فيه فلاحي، وأنا عنه غنيٌّ غافل، وبوجوه استجلابه جاهل، فقد بسطت يدي بالابتهال إليك، ووقفت بذُلِّ المذنبين، وخشوع الرَّاغبين وتضرُّع المحتاجين بين يديك، وأنت أنت أهل الإجابة، وإن كنت أنا أهلاً للخيبة، فأنت وليُّ الإسعاف والإطلاب، وإن كنت أنا المستحقّ لعظيم العذاب فأنت موضع الرغبة، ومنتهى السؤل والطلبة، وأنا لا أهتدي إلاَّ إليك، ولا أعوِّل إلاَّ عليك، ولا أقرع إلاَّ بابك، ولا أرجو إلاَّ ثوابك، ولا أخاف إلاَّ عذابك ولا أخشى إلاَّ عقابك، فزدني اللَّهمَّ هداية إليك، ويسّر لي ما عوّلت فيه، وافتح لي بابك، وأجزل لي من رحمتك ثوابك، وآمنِّي ممَّا أستحقه بذنوبي من عذابك، وأليم عقابك، إنَّك أنت الرؤوف الرَّحيم.

الصحيفة العاشرة وهي صحيفة «التوكُّل»

من توكَّل على الله كفاه، ومن استرعاه رعاه، ومن قرع بابه افتتح، ومن سأله أنجح، ومن كان الله معه لم يقدر النَّاس له على ضرّ، ومن أتى الأمر تبرّئاً من حوله وقوَّته استكثر الخير، وأمن من توابع الشرّ، ومن تاب تيب عليه، ومن أناب غفر له، والأعمال بالموافاة، والاستدراك قبل الفوت والوفاة، ولن يضيع فعل أحد من صحيفته ولا يتوفَّى، بل يحاسب على القطمير ويجازي، فوربِّ السَّماء لقتصنَّ من

القرناء للجماء[١] ولتستوينَّ يوم القيامة في المداينة الأقدام، وليجازينَّ كلّ امرء على ما اعترف من حسنات وآثام،عند من لا يخفى عليه الضمائر، ولا يغيب عنه السَّرائر، ولا يتعاظمه شيء لكبره، ولا يتكتم شيء لحقارته وصغره، ولا يتكاءده الإحصاء، ولا يذهب عليه الجزاء ذلكم الله ربُّ العالمين، قدَّر كلَّ شيء وقضاه وعدَّه وأحصاه، فلا يخفى عليه خافية، إلاَّ رحمته ثمَّ العمل الصالح.

الصحيفة الحادية عشر.....

لا غنى لمن استغنى عنِّي، ولا فقر بمن افتقر إليَّ، ولا يضيع عمل أحد عندي من خيرٍ وشرّ، فأمَّا الخير فأنا أجزي وعداً غير مكذوب، وأمَّا الشرُّ فإليَّ إن شئت عفوت، وإن شئت عاقبت، وأنا الغفور الرَّحيم.

الصحيفة الثانية عشر صحيفة «البعث»

يا أيُّها النَّاس إن كنتم في مرية من البعث فتفكَّروا أنَّ الَّذي أوجدكم عن عدم، وخلقكم من غير قدم، وخلقكم في الأرحام نطفاً ومضغاً، ثمَّ صوَّركم، وأخرجكم من بطون أُمَّهاتكم ضعفاء، فقوَّاكم وأقدركم وغيَّركم من حال إلى حال، وصيَّركم في كلِّ الأُمور ذوي زوال وانتقال، قادر على أن يعيدكم كما بدأكم، ويبعثكم كما خلقكم، وذلك في عقول النَّاس أهون وأقرب، فأمَّا الله فلا يتعاظمه كبير لكبره، ولا يتعذَّر عليه صغير لصغره، وكلُّ الأُمور بيده هيّن لا ينصب فيها ولا يتعب، ولا يعيى ولا

---

(١) القرناء ما له قرن، والجماء خلافه.

يلغب، إنَّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ذلكم الله خالق الخلق أجمعين.

الصحيفة الثالثة عشر صحيفة «سهم الجبابرة»

يا أُخنوخ قد أهمل النَّاس عبادتي، فأضربوا عن طاعتي، وأصرُّوا على العصيان وانهمكوا في الطغيان، وآثروا طاعة الشيطان، وتهالكوا في البغي والعدوان كأنَّهم لم يروا مصارع الطغاة قبلهم، ولم ينظروا إلى ديارهم الخاوية وخدورهم وخلوّ قصورهم المشيَّدة واتّضاع أسمائهم، [العالية] لم تدفع عنهم سخطتي لما حلَّت موثق القلاع، ومونق الرّباع، ولم تجرهم الجنود المجنَّدة، والعدد المعدَّدة والأموال الجمّة، والممالك العظيمة، بل تضعضعوا لواقع النقمة إذ لم يشكروا سابغ النعمة، وتزعزعوا لحلول السَّخطة لما تناسوا حقِّي عليهم عند المهلة، فبادوا وهلكوا، وطريق الخزي في الدُّنيا والآخرة سلكوا، حتَّى كأنَّهم لم يروا قريباً مصارع سهم الجبَّار وأصحابه الجبابرة، لما أصرُّوا على الكفر والجحود، واستمرّوا على البغي والعنود، واستعبدوا عبادي، وخرَّبوا بلادي، واستحقروا الخلق، وغمطوا الحقَّ، وأحيوا سنن الأشرار، وعطَّلوا سنن الأخيار، ووضعوا المكوس، وأزهقوا النُّفوس، وتركوا ما كان عليهم فرضاً، وركضوا في الباطل ركضاً، وسفكوا الدماء، حتَّى أبكوا بأفعالهم الأرض والسَّماء، مفتخرين مغترّين بأجسامهم العظام وجثثهم الكبار، وقوَّتهم الشديدة، وأموالهم العتيدة.

ولمَّا انقضت أيَّامهم، وتمَّت آثامهم، أجهشت البقاع، وبكت الرَّوابي والتّلاع، بمن فيها من أصناف الحيوان، إلى الحنَّان المنَّان، فرحمنا

تضرُّعهم واستجبنا دعوتهم، وانتصرنا للمؤمنين ممَّن استضعفهم، فجعلناهم أرباباً لمن كان استعبدهم، وأُمراء على من استرزلهم، وألقينا بين الجبابرة الباس، وأرحنا منهم جماعة النَّاس، فتحارب الجبابرة وتحازبوا، وتكاوحوا وتجاذبوا، حتَّى أهلكوا بعضهم بعضاً، وقتلوا نفوسهم بأيديهم، وقطعوا أبدانهم بسيوفهم، وإن كان أقواهم وأعتاهم وأتمَّهم قامة وأشدَّهم بسطة سهم قيصر عليهم، وبقي بعدهم قريحاً جريحاً لا يسوغ شراباً ولا طعاماً، ولا يجد قراراً ولا يلتذّ مناماً، من الَّذي أصابه في حروب سائر الجبابرة من ضرب السيوف، وطعن الرضماح وشدخ الجنادل، ووقع السِّهام فبعَل بنفسه، ومهّد بيده موضع رمسه، وانحنى على سيفه، ولقي حتفه بكفّه، وكان آخرهم موتاً، وعقيبهم فوتاً، وورث المستضعفون أموالهم وديارهم، ووطئوا أعقابهم.

فإن شكرتم يا أيُّها النَّاس نعمتي عليكم زدتكم، وإن أطعتموني أمددتكم وإن اقتديتم بالعصاة، وفعلتم فعل البغاة، لم تكونوا أعزَّ عليَّ وأجلَّ لديَّ ممَّن تقدَّمكم، وكلّكم خلقي، وآكل رزقي، لا نسب بيني وبينكم، لا حاجة بي إلى أحد منكم، كما لم يكن بي حاجة إلى من قبلكم، فوعزَّتي لأُهلكنَّ الطّاغين ولأنتصرنَّ للمظلومين من الظَّالمين، وأنا الغلاَّب المتين.

الصحيفة الرابعة عشر صورة صحيفة «المنّ»

يا أيُّها النَّاس ما غرَّكم بربّكم الَّذي سوَّى خلقكم وقدَّر رزقكم، وأورى لكم من الشجر الأخضر ناراً، والصخر الجلمد ناراً، تجلبون به المنافع والنُّور والضّياء، وتستدفعون به الظلمة والبرد والأذى، وهو جعل لكم من جلود الأنعام وأوبارها ريشاً يواري السوءآت، ويدفع

الآفات، وهو الَّذي أخرج عيوناً ينابيع تنبت الزرع وتنفع الظماء، وأجرى في السَّماء مصابيح يهتدي بها في مهامه البرَّ، ولجج البحر، وعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتبا الكتاب، ونسج الثياب، وتذليل الدَّوابّ، وهو الَّذي أدرَّ لَكم الضّروع، وأنبت الأشجار والزُّروع، وأجرى الفلك في البحار، وهداكم في سباسب القفار، أإلٰه غيره يقدر على شيء من ذلك، أو أنتم إلى مثله تهتدون، فسبحان الَّذي ليس كمثله شيء وهو المنَّان الكريم.

الصحيفة الخامسة عشر صحيفة «النجاة»

ليس النجاة بالقوَّة، ولا الخلاص بالجبروت، ولا تستحقُّ اسم الصّدّيقيَّة بالملك العظيم، ولا يوصل إلى ملكوت السَّماء بالعزِّ الجسيم، ولا ينفع في الآخرة كثرة الرِّجال، وثروة الآمال، ولا ينجي يوم الحساب الحذق في الصنائع والكيس في المكاسب، لكنَّ البرَّ الَّذي ينجي، والطهارة الَّتي تنقذ، وبالنزاهة من الذُّنوب تُستحقُّ الصدّيقيَّة، وبالعمل الصَّالح ينال ملكوت السَّماء، ما يثقل في الميزان إلاَّ النيَّة الصَّادقة، والأعمال الطاهرة، وكفُّ الأذى، والنَّصيحة لجميع الورى، واجتناب المحارم، والهرب من المآثم، فاعبدوا الله الَّذي فطركم، وسوَّى صوركم، وأنيبوا إليه، وتوكَّلوا عليه يسهِّل لكم في دنياكم المطالب، ويجركم في معادكم من المعاطب، واعلموا أنَّ الخير بيديه، والأُمور كلّها إليه، وهو العزيز الغلاَّب.

الصحيفة السادسة عشر صحيفة «الأفلاك»

يا أُخنوخ! أما تفكَّرت في بدائع فطرة الله الَّذي بصَّرك عجائبها،

وأراك مراتبها من هذه الأفلاك الدوَّارة، والنُّجوم السيَّارة، الَّتي تطلع وتأفل، وتستقرّ أحياناً وترحل، وتضيء في الظلم وألدَّ آدي، وتهتدي بها في اللجج والفيافي، تنجم وتغور، وتدبّر عجائب الأُمور، لازمة مجاري مناطقها، عانية خاضعة لأمر خالقها.

أما نظرت إلى هذه الشَّمس المنيرة المفرّقة بين اللَّيل والنَّهار، المعاقبة بين الإظلام والإسفار، المغيّرة فصول السَّنة إسخاناً وتبريداً، وإفراطاً وتعديلاً المربيَّة لثمار الأشجار، وجواهر المعادن في الآبار، الَّتي إن دامت على حال واحدة لم ينبت زرع، ولم يدرَّ ضرع، ولا حيي حيوان، ولا استقرَّ زمان ومكان، أما علمت أنَّ ذلك بفطرة حكيم وسع علمه الأشياء، وخلق قويّ لا يستثقل الأعباء، وأمر عليم لا يتكأدَّه الإحصاء، وحكم قادر لا يلحقه نصب ولا إعياء، وتدبير عال لا مغالب لحكمه، وأنَّ ذلك لعنايته بضعاف الخلق، وكرمه في إدرار الرِّزق، وأنَّه تعالى العالم الحقُّ الَّذي لا يغيب عنه ما كان ولا ما يكون.

الصحيفة السابعة عشر صحيفة «المعاصي»

يا أُخنوخ! قد كثرت المعاصي، ونبذت الطاعات، ونسيني خلقي، كأنَّهم ليس يأكلون رزقي، ولا يستوطنون أرضي، ولا تكنّهم سمائي، ما الَّذي يؤمنهم أن أشوِّه خلقهم، أو أطمس وجوههم، أو أحبس الأمطار عنهم؟ أو أصلد الأرضين فلا تنبت لهم، أو أُسقط السَّماء عليهم، وأُرسل شواظاً من العذاب إليهم؟ غرَّهم حلمي فشكّوا في علمي ورأوا إمهالي وأمَّلوا إهمالي، لا وعزَّتي ليس الأمر كما يظنّون إنِّي لأعلم النقير والقطمير، وليس يخفى عليَّ شيء من الأُمور، لكنِّي لكرمي أنتظر بعبدي الإنابة، وأُؤخِّر معاقبته ترفّقاً رجاء للتوبة، إذ كان

لا حاجةً بي إلى عذاب أحد من العالمين، ورحمتي تسع الخلائق أجمعين، فمن تاب تبت عليه، ومن أناب غفرت له، ومن عمي عن رشده، ولم يبصر سبيل قصده لم يفتني، ولا يعتاص عليَّ كبير لكبره، ولا يخفى لديَّ صغير لصغره، فأنا الخبير العليم.

الصحيفة الثامنة عشر صحيفة «الإنذار»

يا أُخنوخ! أنذر النَّاس عذاباً قد أظلّهم، وطوفاناً قد آن أن يشملهم، يسوِّي بين الوهاد والنجاد، ويعمُّ النجوات والعقوات، وتغرق الأرض بآفاقها، وتبلغ منتهى أقطارها وأعماقها، وتسخط لسخطي، وتنتقم لي ممَّن نبذ طاعتي، ولا أفعل ذلك إلاَّ بعد أن أستظهر عليهم بالحجج اللوامع، وأنذرهم بالآيات السَّواطع وأنتظر بهم قرناً بعد قرن كعادتي في الإمهال والحلم، فإذا أصرُّوا على طغيانهم واستمرّوا على عدوانهم، وعمَّ الكفر، وقلَّ الإيمان، فنحت ينابيع الأرض عزالى السَّماء، وملأت الضواحي والأكناف من الماء، ونجّيت المؤمنين، وقليلٌ عددهم، وأهلكت الطاغين، وكثير ما هم، وذلك دأبي فيمن عبد سواي، أو جعل لي شركاء، وأنا مع ذلك رؤوف رحيم.

الصحيفة التاسعة عشر صحيفة «الحق»

لا قبيح إلاَّ المعصية، ولا حسن إلاَّ الطَّاعة، ولا وصول [إلاَّ] بالعقل إلى المعرفة، بالحقّ عرف الحقّ، وبالنُّور أهتدي إلى النُّور، وبالشَّمس أُبصرت الشَّمس، وبضوء النَّار رأيت النَّار، ولن يسع صغير ما هو أكبر منه، ولا يقلُّ ضعيف ما هو أقوى منه، ولا يحتاج في الدَّلالة على

الشيء المنير بما هو دونه، ولا يضلُّ عن الطريق إلاَّ المأخوذ به عن التَّوفيق، والله على كلِّ شيء شهيد.

الصحية العشرون صحيفة «المحبَّة»

طوبى لقوم عبدوني حُبّاً، واتَّخذوني إلٰهاً وربّاً، سهروا اللَّيل ودأبوا النَّهار طلباً لوجهي من غير رهبة ولا رغبة، ولا لنار ولا جنَّة، بل للمحبَّة الصَّحيحة، والإرادة الصريحة، والانقطاع عن الكلِّ إليَّ، والاتّكال من بين الجميع عليَّ، فحقٌّ عليَّ أن أسبرهم طويلاً، وأُحمِّلهم من حبِّي عبأً ثقيلاً، وأسبكهم سبك الذهب في النَّار، فإذا استوى منهم الإعلان والإسرار، وانقطعت من إخوانهم وصائلهم، وتصرَّمت من الدُّنيا علائقهم وصائلهم، هنالك أرفع من الثرى خدودهم، وأُعلي في السَّماء جدودهم، أُنضر معادهم، وأُبلِّغهم مرادهم، وأجعل جزاءهم أن أُحقِّق رجاءهم، وأُعطيهم ما كانت عبادتهم من أجله، وأنا صادق الوعد لا أُخلف.

الصحيفة الحادية والعشرون صحيفة «المعاد»

سبحان من خلق الإنسان من ماء مهين ثمَّ جعل حياته في ماء معين، وتبارك الَّذي رفع السَّماء بغير عمد تقلّها، ولا معاليق ترفعها، إنَّ لكم أيُّها النَّاس في الشجر الَّذي يكتسي بعد تحاتّ الورق ورقاً ناضراً، ويلبس بعد القحول زهراً زاهراً ويعود بعد الهرم شابّاً، وبعد الموت حيّاً، ويستبدل بالقحل نضارة، وبالذبول غضارة، لأعظم دليل على معادكم، فما لكم تمترون؟ ألم تواثقوا في الأظلال والأشباح، وأُخذ العهد عليكم في الذرّ والنشور، وتردَّدتم في الصور، وتغيَّرتم في الخلق، وانحططتم من

الأصلاب، وحللتم في الأرحام، فما تنكرون من بَعثرة الأجداث، وقيام الأرواح، وكون المعاد، وكيف تشكّون في ربوبيَّة خالقكم الَّذي بدأكم ثمَّ يعيدكم، وأخذ المواثيق والعهود عليكم، وأبدأ آياته لكم، وأسبغ نعمه عليكم، فله في كلِّ طرفة نعمة، وفي كلِّ حال آية، يؤكّدها حجَّةً عليكم، ويوثق معها إنذاراً إليكم، وأنتم في غفلة سامدون، وعمَّا خُلقتم له وندبتم إليه لاهون، كأنَّ المخاطب سواكم، وكأنَّ الإنذار [بمن] عداكم، أتظنّون أنِّي هازل أو عنكم غافل؟ أو أنَّ علمي بأفعالكم غير محيط؟ أو ما تأتون به من خير وشرّ يضيع؟ كلّا، خاب من ظنَّ ذلك وخسر، والله هو العليُّ الأكبر.

الصحيفة الثانية والعشرون صحيفة «الدُّنيا»

تفكَّروا في هذه الدُّنيا تفتن بزبرج زخاريفها، وتخدع بحلاوة تصاريفها ولذَّاتها، شبيهة بنور الورد المحفوف بالشوك الكثير، فهو ما دام زاهراً يروق العيون ويسرُّ النُّفوس، وهو مع ذلك ممتنع بالشوك المقرِّح يد متناوله، فإذا مضت ساعات قليلة، انتثر الزهر، وبقي الشوك، كذلك الدُّنيا الخائنة الفانية، فإنَّ حياتها متعقَّب بالموت، وشبابها صائر إلى الهرم، وصحَّتها محفوفة بالمرض، وغناها متبوَع بالفقر، وملكها معرض للزوال، وعزَّها مقرون بالذّلِّ، ولذَّاتها مكدَّرة بالشوائب، وشهواتها ممتزجة بمضض النوائب، شرّها محض، وخيرها ممتزج، من حبي منها بشيء من شهواتها لم يخل من غصص مراراتها، وخوف عقوباتها، وخشية تبعاتها، وما يعرض في الحال من آفاتها.

هذه حال فاز من سعد بها، فما تقول فيمن لم يحظ بطائل منها، الصَّحيح فيها يخاف السَّقم، والغنيُّ يخشى الفقر، والشَّابُّ يتوقَّع

الهرم، والحيُّ ينتظر الموت، من اعتمد عليها واستنام إليها كان مثل المستند إلى جبل شاهق من الثلج يعظم في العيون عرضه وطوله وسمكه، فإذا أشرقت شمس الصيف عليه ذاب غفلة وسال، وبقي المستند إليه والمستذري له بالعراء، فكذلك مصير هذه الدُّنيا إلى زوال واضمحلال، وانتقال إلى دار غيرها، لا يقبل فيها إلاَّ الإيمان ولا ينفع فيها إلاَّ العمل الصالح، ولا يتخلَّص فيها إلاَّ برحمة الله، من هلك فيها هوى، ومن فاز فيها علا وهي مختلفة دائمة.

الصحيفة الثالثة والعشرون صحيفة «البقاء»

سيعود كلّ شيء إلى عنصره، ويضمحلُّ كلُّ ما ترون بأسره، ويشمل الفناء ويزول البقاء، فلا يبقى باق إلاَّ من كان بقاؤه بلا ابتداء، فإنَّ ما كان بلا ابتداء فهو بلا انتهاء، ويخلص الأمر لوليّ الأمر، ويرجع الخلق إلى باريء الخلق، وتقوم القيامة، وطوبى للناجين، وويل للهالكين.

الصحيفة الرابعة والعشرون صحيفة «الطريق»

يا أُخنوخ الطريق طريقان: إمَّا الهدى والإيمان، وإمَّا الضلالة والطغيان فأمَّا الهدى فظاهرة منارها، لائحة أثارها، مستقيم سننها، واضح نهجها، وهو طريق واحد لا حب لا شعب فيها، ولا مضلاَّت تعتورها، فلا يعمى عنها إلاَّ من عميت عين قلبه، وطمس ناظر لبّه، من لزمها فعصم لم يضلَّ عنها، ولم يرتب بمنارها ولم يمتر في واضح آثارها، وهي تهدي إلى السّلم والنَّجاة، ودائم الرَّاحة والحياة، وأمَّا طريق الضَّلالة فأعلامها مستبهمة، وآثارها مستعجمة، وشعبها كثيرة تكتنف طريق الهدى من يمينها وشمالها، من ركبها تاه، ومن سلكها حار وجار، وهي تقطع براكبها،

وتبدع بسالكها، وتؤدِّي السَّائر فيها إلى الموت الأبديّ الَّذي لا سكون معه، ولا راحة فيه، فادع يا أُخنوخ عبادي إليَّ، وقف بهم على طريقي ثمَّ كلهم إليَّ، فوجلالي لا أُضيع عمل محسن وإن خفَّف، ولا يذهب عليَّ عمل مسيء وإن قلَّ، وأنا الحاسب العليم.

الصحيفة الخامسة والعشرون صحيفة «الظلمة»

من رأى ظلم ظالم فأمكنه النكير فلم يفعل فهو ظالم، ومن أتى الظلم أو رضي به فهو يوم القيامة لا شكَّ نادم، وعزَّتي إنَّ الانتقام على الظلوم أمرٌ من الظلم على المظلوم، وليس يظلم الظالم إلاَّ نفسه، ولا يبخس الباخس إلاَّ حظَّه، وسأنتقم للكلِّ من الكلِّ، وحسبك بمن أنتقم منه مقهوراً، وبمن أنا أنتقم له منصوراً فلأُظهرنَّ على الظالمين سيَّما الخزي والصغار، و.. [1] ربُّ العالمين، وهل تبور تجارة مع أحكم الحاكمين، وأرحم الرَّاحمين، وطوبى لمن طعم الضّريك، وكسى الصعلوك، واكتنف الأرملة واليتيم، وجاد على ابن السبيل، وأعان أخاه في النوائب وواساه من نعم الله عنده ومواهبه، فإنَّ ذلك حقٌّ على الله أن يضاعف له ما فعل ويميِّزه في المعاد ممَّن بخل، ويجازيه على إحسانه الجزاء الأفضل، وينوِّله من رضوانه العطاء الأكمل الأجزل، والله لا يخلف الميعاد.

الصحيفة السابعة والعشرون صحيفة الويل

بالبرِّ وعمل الخير اطلبوا النجاة، وانظروا وتدبَّروا فإنَّ سبيل الصّدِّيقيَّة قاصدة لاحبة، وهي مملوَّة سروراً ومؤدِّيَة إلى الفوز والنجاة، وسبيل الضَّلالة زائفة مائلة محفوفة بالملاذّ وهي مؤدِّيَة إلى البوار والهلاك،

---

(١) بياض في جميع النسخ والساقط تتمة الخامسة والعشرين وصدر السادسة والعشرين.

فانصرفوا عن سبيل الضَّلالة المملوَّة موتاً، ولا تسلكوها لئلاً تتيهوا، بل آثروا البرّ وعمل الخير تنالوا الراحة الأبديَّة في دار السَّلام.

الويل لمن يبيت ونيَّته موقوفة على عمل الخطايا يتفكَّر كيف يقتل، وكيف يسلب، وكيف يزني، وكيف يعصي؟ فإنَّ ذلك مهدوم القواعد، عاجل الهلاك.

الويل لمن يقتني الذهب والفضَّة بالمكر والفساد والظلم فإنَّه يهلك عن ذلك وشيكاً، وتبقى عليه التبعات.

الويل للغنيّ الَّذي يذكر بغناه الإله العليّ، ولكنَّه يطلب بغناه الخطايا، ويبقي الذّنوب، فإنَّه معدّ له في العاقبة مقاسات الضَّباب، والظلمة في يوم الدِّين، ولا يصاب بالرَّحمة من الديَّان العظيم ولا يرحم من جهنَّم الهاوية إلاَّ من طاب وارعوى، وعاود الرشد.

الويل لمن يعسّر المؤمنين ويؤذيهم، ويبغى الغوائل لهم، ويصدّهم عن إقامة فرائضهم، وإحياء شرائعهم، فإنَّ مصيرهم ومصير من عاونهم إلى النَّار الملتهبة الَّتي لا تطفأ، والعذاب الشديد الَّذي لا يهدأ.

الويل لشاهد كاتم الشهادة فإنَّه معدّ له الحزن الدَّائم والويل الشَّديد في الآخرة.

الويل لمن أكل طيّب الطعام، وشرب لذيذ الشَّراب ولم يؤدِّ شكر الوهَّاب، وإنَّه محاسب على الخردلة، ومدين بما صنع.

الويل كلُّ الويل للمفتخر بمرادَّته، الطاغي في جبروته المستذلّ للخيّرين اللّيّنين من المؤمنين، المُهين للصلحاء الساكنين، فإنَّه صائر إلى هلاك الأبد، وبوار الخلد، حكماً من ديَّان عادل، وحكيم قادر.

عجباً لمن يقول لمن مات من الأئمَّة الخطاة، طوبى له فقد عاش عمراً طويلاً، ونال خيراً جزيلاً، وسروراً عظيماً وملكاً جسيماً، وتمتّع بالأهل

والولد، والسّعة والغنى، ثمَّ مات كريماً وادعاً، ولم يلاق هواناً، أما علمتم أنَّه تمتَّع قليلاً وخلَّف وراءه حساباً طويلاً، واحتمل من أوزاره عبأً ثقيلاً، وكانت أيَّامه في سروره وغناه، وملكه ودنياه كحلم النائم، ومجرى السَّراب، لم يحصل منه عند انقضائه إلاَّ على تبعة حساب ومكابدة خلود العذاب.

أما علمتم أنَّه انتقل من الفاني إلى الباقي الَّذي لا يبيد، وأنَّه محاسب على النقير والقطمير، وملاق حزناً عظيماً، وخوفاً شديداً، وصائر إلى إعوار جهنَّم المملوَّة ظلمة وحريقاً، ومكابد هناك عسراً وضيقاً، فما تغبطون المسكين على قليل ما نال من دنياه في جنب عظيم ما نال من تبعته وأذاه في دار دائمة خالدة غير فانية ولا بائدة أيُّها الأئمَّة الخطاة الظلمة لا تظنَّنَّ أنَّكم غير مطلوبين أو غير محاسبين ومعاقبين على ما ارتكبتم من المآثم، وآتيتم من العظائم، وفعلتم من الظلم، وسننتم من الفساد فإنَّ جميع آثامكم وسيِّئاتكم مكتوب بين يدي الديَّان، ومحفوظ عليكم وغير منسيّ ولا متروك، وأنتم مدينون، وعلى ما آتيتم معاقبون، وديَّانكم عالم بالسَّرائر، عارف بالضَّمائر، لا يخفى عليه خافية، ولا تقى من سخطته واقية، وهو الفتَّاح الفعَّال العليم.

الصحيفة الثامنة والعشرون صحيفة «القرون»

يا أُخنوخ! قل للنَّاس أتقدِّرون أنَّ الله لم يخلق سواكم، أوليس له عالم ما عداكم؟ لقد خلت قبلكم قرون، وبادت قبائل وبطون، فما نقصوا الله سلطانه.

الصحيفة التاسعة والعشرون صحيفة «العياذ»

عذ بالله من الأسقام والعلل، من الدَّقع والخجل، من الزَّيغ في الدِّين ومن التهالك في الهوى ومن الشَّيطان الطاغي، والسُّلطان الباغي، والدِّين

المجحف والغريم الملحف، واغسل قلبك بالتقوى كما تغسل ثيابك بالماء، وإن أحببت روحك فاجتهد في العمل لها، ونقِّ من الدغل طريقها، وُشكّ[1] بها من السفل إلى العلو، ومن الموت إلى الحياة، واتعب تسترح، واتّجر مع الغنيِّ الوفيّ تربح، واستهن تملك الدُّنيا زخرفها الَّتي تسرع إلى الزَّوال، وهي بعرض الانتقال، ولا تفه بغناها المؤدِّي إلى الفقر، وعماراتها الصَّائرة إلى القفر، واستخفّ بالأنساب الولاديَّة والأسباب الدنيويَّة، الَّتي تنقطع في الآخرة ولا تثبت، ولا تتصرَّم في المعاد ولا تنفع، وليكن عملك لله العليِّ المالك ملكوت السَّماء، وتحلَّل درجات العلى تأمن بوائق الدَّمار، وتنحلّ من حبائل الإسار، واستعن بالله يُعنك، واستهده يهدك، واعلم أنَّك به تنجو، وبتقواه ترتفع وتعلو، ولا تكن كمن ينظر ولا يتفكَّر.

هذا آخر ما بلغ إلينا من هذه الصحيفة الشريفة المباركة الإدريسيَّة الَّتي أنزل الله عليه، سلام الله على نبيّنا وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وآل سيِّدنا محمَّد وأئمَّة المعصومين والحمد لله ربِّ العالمين»[2].

---

(١) شك بها: أي أخرقها.

(٢) نقلاً عن بحار الأنوار ج٩٥ ص٤٥٣.

سنن النبي إدريس (ع)

جاء في كتاب «سعد السعود» للسيِّد علي بن طاووس: «سنن إدريس وهو بخط عيسى محرره نقله من السرياني إلى العربي عن إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن هارون الصابي الكاتب:

* اعملوا واستيقنوا إنَّ تقوى الله هي الحكمة الكبرى والنعمة العظمى والسبب الداعي إلى الخير، والفاتح لأبواب الخير والفهم والعقل، لأنَّ الله لمَا أحبَّ عباده وهب لهم العقل واختصَّ أنبيائه وأوليائه بروح القدس، فكشفوا لهم عن سرائر الديانة وحقائق الحكمة، لينتهوا عن الضلال ويتبعوا الرشاد، ليتقوا في نفوسهم أنَّ الله أعظم من أن تحيط به الأفكار أو تدركه الأبصار أو تحصله الأوهام أو تحده الأحوال وأنَّه المحيط بكلِّ شيء والمدبّر له كما شاء، ولا يتعقب أفعاله ولا يدرك غاياته ولا يقع عليه تحديد ولا تحصيل ولا مشار ولا اعتبار ولا نطق ولا تفسير ولا ينتهي استطاعة المخلوقين إلى معرفة ذاته ولا علم كهنه.

* ادعو الله في أكثر أوقاتكم مقاصدين متألهين في دعائكم، فإنَّه إن يعلم منكم التظافر والتوازر يُجِبْ دعائكم ويقضي حاجاتكم، ويبلِّغكم أمالكم ويفضي عطاياه عليكم من خزائنه الَّتي لا تفنى.

* إنَّما إذا دخلتم في الصيام طهّروا نفوسكم من كل دنس ونجس وصوموا لله بقلوب خالصة صافية منزّهة عن الأفكار السيِّئة والهواجس

المنكرة، فإنَّ الله يحبس القلوب الملطَّخة والنيات المدخولة، ومع صيام أفواهكم من المأكل فلتصم جوارحكم من المأثم، فإنَّ الله لا يرضى عنكم أن تصوموا من المطاعم فقط لكن من المناكير كلها والفواحش بأسرها.

* إذا دخلتم في الصلاة فاصرفوا لها خواطركم وأفكاركم، وادعوا الله دعاء طاهراً متفرّغاً، وسلوه مصالحكم ومنافعكم بخضوع وخشوع وطاعة واستكانة، وإذا بركتم وسجدتم فابعدو عن نفوسكم أفكار الدُّنيا وهواجس السوء وأفعال الشَّرّ واعتقاد المكر وأكل السُّحت والعدوان والأحقاد واطرحوا بينكم ذلك كله.

* أدُّوا فرائضكم صلاة كل يوم، وهي ثلاث الغداة وعددها ثمان سور، وكل سورتين ثلاث سجدات بثلاث تسبيحات، وعند انتصاف النَّهار خمس سور، وعند غروب الشَّمس خمس سور بسجود هذه المكتوبة عليكم، من زاد عليها متنفلاً فله على الله المزيد من الثواب.

* فكأنَّك بالموت قد نزل فاشتد أنينك، وعرق جبينك، وتقلّصت شفتاك وانكسر لسانك، ويبس ريقك، وعلا سواد عينيك بياضاً، وأزبد فوك، واهتزَّ جميع بدنك، وعالجت غصَّة الموت وسكرته ومرارته وزعقته، ونُوديت فلم تسمع، ثمَّ خرجت نفسك وصرت جيفة بين أهلك، إنَّ فيك لعبرة لغيرك فاعتبر في معاني الموت، إنَّ الَّذي نزل نازل بك لا محالة، وإن طال العمر فعن قليل يفنى، لأنَّ كلَّما هو آت قريب لوقت معلوم، فاعتبر بالموت يابن آدم، واعلم أيُّها الإنسان إنَّ أشدّ الموت ما قبل، . . . والموت أهون ممَّا بعده من شدَّة أهوال يوم القيامة[١].

---

(١) سعد السعود ص٤٠.

الفهرس

النبي إدريس (ع) ٥
رسالة «زجر النَّفس» ٦
تعريف بـ «الرسالة» ٧
خلق العوالم الوجودية ٧
التنزّل من العوالم ٨
خلق الأرواح ١٠
علَّة تنزّل الأرواح ١١
قصيدة الشيخ الرئيس في هبوط الروح ١٣
الإنسان روح وجسد ١٧
الإنسان في عالم الدُّنيا ٢١
هدف الخالق ٢٥
معرفة النفس ٢٧

زجر النَّفس

اليقين ٣١
التمثيل ٣١
الغرور بالدُّنيا ٣٤
الدُّنيا مرآة ٣٥
الحذر من الدُّنيا ٣٦
التدبُّر بكلام الله تعالى ٣٦
ضعف الإنسان ٣٧

الارتباط بالعالم الأصلي ٣٧
اختيار عالم العقل ٣٨
الموت الاختياري ٣٨
البلاء من طبيعة الدُّنيا ٣٩
الزُّهد في الدُّنيا ٤٠
بحر الدُّنيا ٤٠
الرؤيا والتبصّر ٤٠
حقيقة الزهد ٤١
السعادة بالموت ٤١
مصاحبة الروحانيين ٤٢
أسباب النجاة ٤٢
الموت الاختياري ٤٢
العلم والعمل ٤٣
نورانيَّة النَّفس ٤٣
الرجوع إلى الوطن ٤٤
اللذَّة ٤٥
الابتعاد عن عالم المادَّة والظلام ٤٧
الغرق في بحر الدُّنيا ٤٧
الرجوع إلى عالم العقل ٤٨
جاذبية الانخداع بالظاهر ٤٨
مواعظ النَّفس ٥٠
الحسرة ٥٠
المواعظ تصقل القلوب ٥٠
تذوّق حلاوة العالم الأعلى ٥١
قرين الخير والشرّ ٥١
اختيار عالم النُّور ٥٢
ينبوع الحياة ٥٣

الزهد أداة الخير ٥٥
عالم الاختلاف أو الثبات ٥٥
الادّعاء والحقيقة ٥٧
التطهير من الأدران ٥٧
إدراك العقل والحواس ٥٨
الوحدة والتركيب ٥٨
النزول من العالم العلوي إلى الدُّنيا ٥٩
اللذَّة العقلية ٦٠
كسر الشهوات ٦١
التبصر بمعايب الدُّنيا ٦١
البلاء والصَّبر ٦٢
المعرفة في ذات الإنسان ٦٣
الجسد آلة الروح ٦٣
اللذَّة ٦٤
الجسد أداة الروح ٦٥
الامتحان ٦٦
الدُّنيا نوم وحُلم ٦٦
ارتباط النَّفس بالجسد ٦٧
أحوال النَّفس ٦٨
شكوى النَّفس ٦٩

صحيفة النبي إدريس (ع)

الصحيفة الأولى وهي صحيفة الحمد ٧٣
الصحيفة الثانية صحيفة الخلق ٧٤
الصحيفة الثالثة صحيفة الرِّزق ٧٥
الصحيفة الرابعة صحيفة المعرفة ٧٧
الصحيفة الخامسة صحيفة العظمة ٧٩

الصحيفة السادسة صحيفة القربة ٨٠
الصحيفة السابعة صحيفة الجبابرة ٨١
الصحيفة الثامنة صحيفة الحول ٨٢
الصحيفة التاسعة صحيفة الانتقال ٨٢
الصحيفة العاشرة وهي صحيفة التوكُّل ٨٣
الصحيفة الحادية عشر..... .... ٨٤
الصحيفة الثانية عشر صحيفة البعث ٨٤
الصحيفة الثالثة عشر صحيفة سهم الجبابرة ٨٥
الصحيفة الرابعة عشر صورة صحيفة المن ٨٦
الصحيفة الخامسة عشر صحيفة النجاة ٨٧
الصحيفة السادسة عشر صحيفة الأفلاك ٨٧
الصحيفة السابعة عشر صحيفة المعاصي ٨٨
الصحيفة الثامنة عشر صحيفة الإنذار ٨٩
الصحيفة التاسعة عشر صحيفة الحق ٨٩
الصحية العشرون صحيفة المحبَّة ٩٠
الصحيفة الحادية والعشرون صحيفة المعاد ٩٠
الصحيفة الثانية والعشرون صحيفة الدُّنيا ٩١
الصحيفة الثالثة والعشرون صحيفة البقاء ٩٢
الصحيفة الرابعة والعشرون صحيفة الطريق ٩٢
الصحيفة الخامسة والعشرون صحيفة الظلمة ٩٣
الصحيفة السابعة والعشرون صحيفة الويل ٩٣
الصحيفة الثامنة والعشرون صحيفة القرون ٩٥
الصحيفة التاسعة والعشرون صحيفة العياذ ٩٥
سنن النبي إدريس (ع) ٩٧

صدر للمؤلف

١ ـ زيارة الإمام الحسين ﵇، في رحاب الإمام المهدي ﵇
٢ ـ كفاية الزائرين
٣ ـ ضياء المؤمنين
٤ ـ الروح بين العلم والعقيدة
٥ ـ النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين
٦ ـ خدمة الناس في سيرة أهل البيت ﵈
٧ ـ المنهج العبادي للأنبياء والأوصياء والعرفاء
٨ ـ النظام الصحي بين الطب الإسلامي والطب الطبيعي
٩ ـ حياة السيد المسيح ﵇
١٠ ـ كيف تواجه الابتلاء
١١ ـ بحوث في الإمامة والولاية
١٢ ـ جمال السالكين السيد عبد الأعلى السبزواري ﵀
١٣ ـ كيف تقرأ القرآن الكريم
١٤ ـ وصايا العلماء
١٥ ـ غياث الملهوفين في التوسل بمحمّد وآله الطاهرين
١٦ ـ الشفاء في الغذاء في طب النبي ﷺ والأئمة ﵈
١٧ ـ الأحلام نافذة على عالم الغيب

١٨ ـ يوم القيامة ونسبية الزمن بين العلم والقرآن الكريم
١٩ ـ جواهر الأخبار في ما ورد عن النبي وآله الأطهار
٢٠ ـ مواعظ وعبر من حياة الأنبياء والأوصياء والأولياء
٢١ ـ تكريم الناس
٢٢ ـ الفضائل العلوية
٢٣ ـ الكمالات العلوية
٢٤ ـ البيت السعيد
٢٥ ـ أعمال الحج والعمرة
٢٦ ـ قضاء الحوائج
٢٧ ـ الصدقة نور في الدنيا والآخرة
٢٨ ـ كيف تحاسب نفسك؟
٢٩ ـ الدين المعاملة وفن العلاقات الاجتماعية
٣٠ ـ الشفاء في الصيام مقارنة بين الصّوم الدّيني والصّوم الطّبي
٣١ ـ كيف ننفع الأموات؟
٣٢ ـ ادخال السرور على أهل القبو
٣٣ ـ زجر النَّفس: المنسوب للنبي إدريس (ع)

تُطلب الكتب من المؤلف: جنوب لبنان ـ عديسة
تلفـون: ٠٣/٦٤٩١٣٦
٠١/٢٧٩٥٨١